سياسة صلاح الدين الأيوبى فى هدم المدن والحصون فى الشام وأثارها فى مواجهة الصليبيين أبان الحملة الصليبية الثالثة (1189-1192م / 585-588هـ)

إعداد

د.هاني مهدي زحير

مدرس تاريخ أوروبا في العصور الوسطى

كلية الآداب– جامعة الإسكندرية

دورية الانسانيات. كلية الآداب. جامعة دمنهور

العدد الستون - الجزء الثانى - يناير - لسنة 2023

سياسة صلاح الدين الأيوبى فى هدم المدن والحصون فى الشام وأثارها فى مواجهة الصليبيين أبان الحملة الصليبية الثالثة (1189- 1192م / 585- 588هـ)

د.هاني مهدي زحير

أ. هانى مهدى راتب

ملخص

يهتم البحث بدراسة فترة زمنية مهمة فى تاريخ الحروب الصليبية فى الشرق فى العصور الوسطى فيما بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، وكانت الفترة الزمنية موضوع دراستنا تقع فى منتصف هذه الحقبة التاريخية ، فى وقت شهد الشرق فيه بداية انحسار النفوذ و المد الصليبي في الشرق على يد القائد صلاح الدين الأيوبى (1138- 1193م / 532 - 589 هـ) ، وخاصة بعد هزيمة الصليبيين فى معركة حطين عام 1187م / 583هـ ، وهي من المعارك الفاصلة فى تاريخ الشرق الإسلامى فى هذه الحقبة التاريخية التي تعد نقطة تحول خطيرة فى تاريخ الصليبيين بالشرق العربى الإسلامى ، تفوقت فيها السياسة الحربية الإسلامية على الحربية الصليبية ، وصارت دفة الحرب تميل إلى صالح المسلمين ، وأخذ الوجود الصليبي فى الأراضى المقدسة ينكمش فيها.

ومن أهمية الدراسة أنها تفصل دور صلاح الدين فى مواجهة الحملة الصليبية الثالثة والسياسات العسكرية التى اتبعها فى هذه المواجهة ، وخاصة سياسته فى هدم المدن والحصون والنتائج المترتبة عليها ، ومن أهمها فشل الحملة الصليبية فى تحقيق أهدافها وإعادة الاستيلاء على مدينة بيت المقدس وأقطاعياتها الصليبية ، ونجاح صلاح الدين فى استرداد جانب كبير من الأراضى المقدسة من يد الصليبيين ، وتطهيره من مظاهر وجودهم ، بالإضافة إلى استرداده للعديد من المدن والحصون الآخرى التابعة لإمارتي أنطاكية وطرابلس ، وإطلاق سراح الآلاف من الأسرى المسلمين داخل السجون الصليبية ، وتعزيز المدن المستردة بالعنصر السكانى العربى بعد تهجير ما بها من السكان الصليبيين ، وهكذا عاد أكثر من نصف الشرق الصليبى إلى طابعه العربى الإسلامى مرة أخرى ، بعد نحو تسعين عاما من سيطرة الأغراب عليه.

الكلمات المفتاحية : الحملة الصليبية الثالثة، صلاح الدين الأيوبى، ريتشارد قلب الأسد، هدم المدن والحصون.

IN THE DEMOLITION OF CITIES AND FORTRESSES IN THE LEVANT AND ITS EFFECTS IN THE FACE OF THE CRUSADERS DURING THE THIRD CRUSADE (1189-1192 AD / 585-588 AH)

Abstract

The research is interested in studying an important period of time in the history of the Crusades in the East in the Middle Ages between the twelfth and thirteenth centuries AD, and the time period was the subject of our study located in the middle of this historical era, at a time when the East witnessed the beginning of the decline of influence and the tide of the Crusades in the East at the hands of the leader Saladin (1138-1193 AD / 532-589 AH), especially
After the defeat of the Crusaders in the Battle of Hattin in 1187 AD / 583 AH, which is one of the decisive battles in the history of the Islamic East in this historical era, which is a serious turning point in the history of the Crusaders in the Arab Islamic East, in which the Islamic war policy outperformed the Crusader war, and the tide of the war tended to favor the Muslims, and the Crusader presence in the Holy Land began to shrink in it.
It is important that the study details the role of Saladin in the face of the Third Crusade and the military policies he followed in this confrontation, especially his policy in the demolition of cities and fortresses and the consequences of them, the most important of which is the failure of the Crusade to achieve its goals and re-seize the city of Jerusalem and its fiefdoms Crusader
And the success of Saladin in the recovery of a large part of the Holy Land from the hands of the Crusaders, and cleansed of the manifestations of their existence, in addition to the recovery of many other cities and fortresses of the principalities of Antioch and Tripoli, and the release of thousands of Muslim prisoners inside the Crusader prisons, and the strengthening of the recovered cities with the Arab population element after the displacement of the Crusader population, and so more than half of the East Crusader returned to its Arab-Islamic character again, after about ninety years of The control of strangers over it

Keywords : Third Crusade, Saladin, Richard the Lionheart, Demolition of cities and fortresses

مقدمة

يهتم البحث بدراسة فترة زمنية مهمة فى تاريخ الحروب الصليبية فى الشرق فى العصور الوسطى فيما بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، وكانت الفترة الزمنية موضوع دراستنا تقع فى منتصف هذه الحقبة التاريخية ، فى وقت شهد الشرق فيه بداية انحسار النفوذ و المد الصليبي في الشرق على يد القائد صلاح الدين الأيوبى (1138-1193م / 532 - 589 هـ) ، وخاصة بعد هزيمة الصليبيين فى معركة حطين عام 1187م / 583هـ ، وهي من المعارك الفاصلة فى تاريخ الشرق الإسلامى فى هذه الحقبة التاريخية التي تعد نقطة تحول خطيرة فى تاريخ الصليبيين بالشرق العربى الإسلامى ، تفوقت فيها السياسة الحربية الإسلامية على الحربية الصليبية ، وصارت دفة الحرب تميل إلى صالح المسلمين ، وأخذ الوجود الصليبي فى الأراضى المقدسة ينكمش فيها .

ومن أهمية الدراسة أنها تفصل دور صلاح الدين فى مواجهة الحملة الصليبية الثالثة والسياسات العسكرية التى اتبعها فى هذه المواجهة ، وخاصة سياسته فى هدم المدن والحصون والنتائج المترتبة عليها ، ومن أهمها فشل الحملة الصليبية فى تحقيق أهدافها وإعادة الاستيلاء على مدينة بيت المقدس وأقطاعياتها الصليبية ، ونجاح صلاح الدين فى استرداد جانب كبير من الأراضى المقدسة من يد الصليبيين ، وتطهيره من مظاهر وجودهم ، بالإضافة إلى استرداده للعديد من المدن والحصون الآخرى التابعة لإمارتي أنطاكية وطرابلس ، وإطلاق سراح الآلاف من الأسرى المسلمين داخل السجون الصليبية ، وتعزيز المدن المستردة بالعنصر السكانى العربى بعد تهجير ما بها من السكان الصليبيين ، وهكذا عاد أكثر من نصف الشرق الصليبى إلى طابعه العربى الإسلامى مرة أخرى ، بعد نحو تسعين عاما من سيطرة الأغراب عليه . وجعل المهمة سهلة أمام خلفائه من الحكام المسلمين فى دولته الأيوبية (1174- 1250 م) أو دولة المماليك (1250- 1517م) التي تلت دولته فى حكم مصر فى استكمال الجهاد ضد الصليبيين وطردهم نهائيا من بلاد المسلمين .

الدراسات السابقة:

على الرغم من أهمية تاريخ هذه الحقبة الزمنية فى تاريخ الحملات الصليبية وتاريخ الصليبيين والمسلمين فى الشرق والعلاقات بينهما ، وكثرة مصادرها الأجنبية والعربية التى تفيض تتبع أحداثها ، إلا أنه لا توجد دراسة مستقلة عربية أو أجنبية سابقة فى موضوع هذا البحث إلا من إشارات قليلة سريعة وعابرة لا تتعدى بضعة سطور فى مؤلفات المؤرخين فى الحروب الصليبية بصفة عامة ، ومن أهمهم رينيه جروسية Rene Grousset فى كتابه " تاريخ الحملات الصليبية " [1]، والمؤرخ ستيفنسون Stevenson [2] فى كتابه " الصليبيون فى الشرق " ، والمؤرخ سيتون [3] Setton فى كتابه " تاريخ الحملات الصليبية " وستيفن رنسيمان Steven Ransiman فى كتابه " تاريخ الحروب الصليبية " [4] . وكانت أهم المؤلفات العربية فى تاريخ الحركة الصليبية والتى أشارت إلى سياسة صلاح الدين الأيوبى فى هدم المدن والحصون فى الحملة الصليبية الثالثة كتاب دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور " فى تاريخ الحركة الصليبية " [5]، ودكتور حسين عطية فى كتابه القيم عن " إمارة أنطاكية الصليبية " [6] ، وكتاب دكتور محمد محمد مرسى الشيخ بعنوان " عصر الحروب الصليبية فى الشرق " .[7]

اعتمد الباحث في معالجة قضايا البحث على مصادره الأولية الرئيسية التي عاصرت الأحداث عن قرب ورأتها رؤية العين بل وشاركت فيها ، فضلا عن المصادر المتأخرة نسبيا لكنها أضافت عليه ، وكان لها دور واضح . ومن الجانب الإسلامى كان مؤلف القاضى بهاء الدين بن شداد أحد هذه المصادر وعنوانه " النوادر السلطانية

---

(1) Rene Grousset, Histoire de Croisades, 3 vols., Paris vol. I , 1936, pp 65, 73.
(2) Stevenson, W. B., The Crusaders in the East, Cambridge, 1907, p 277.
(3) Setton,K. M.,A History of the Crusades,5 vols.,2 ed.,London,1969, vol.2,Pp 75- 76.
(4) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، 3 مجلدات في أربعة أجزاء ، بيروت : دار الثقافة 1997، مج 2 ، ج 1 ، ص 114 ، 118 .
(5) سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى ، 2 جزء ، الطبعة التاسعة ، القاهرة : مكتبة الأنجلو مصرية ، 2010 ، ج2 ، ص 137 -138.
(6) حسين محمد عطية : امارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (1171- 1268م / 567- 666هـ) ،الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1989، ص 227 ، وحاشية 223.
(7) محمد محمد مرسى الشيخ : عصر الحروب الصليبية فى الشرق ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1996، ص 382 ، 398.

والمحاسن اليوسيفية " أو ما عرف باسم " سيرة صلاح الدين الأيوبى " [8]، حيث كان ملازما للسلطان وأخيه الملك العادل سيف الدين فى تحركاتهما وجهادهما ضد الصليبيين ، وقام بدور كبير في المفاوضات مع الجانب الصليبي ويمثله الملك ريتشارد قلب الأسد Richard Coeur de Lion (1189 – 1199م). كذلك الأمر مع عماد الدين الكاتب الملقب بالأصفهانى [9]. ويشاركهما فى هذه الحقبة التاريخية المؤرخ ابن الأثير فى كتابه الكبير " الكامل فى التاريخ " [10] . كذلك المؤرخ ابن واصل فى كتابه " مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب " [11] . ومن الجانب الصليبى المؤرخ المجهول صاحب مصدر الحرب الصليبية الثالثة [12] الذى اشترك فى الحملة الصليبية الثالثة تحت قيادة ريتشارد قلب الأسد، ومارس أدوارا حربية بها . واستفدنا قدر الطاقة من صاحب كتاب ذيل وليم الصوري [13] الذي كان شاهد عيان لكثير من الأحداث التي أوردها في كتابه . كذلك حولية المؤرخ الصليبى أمبرواز Ambroise [14] وهو من أهم المؤرخين الصليبيين المعاصرين للحملة الصليبية الثالثة، هذا إلى جانب المصادر التاريخية الآخرى القريبة من الأحداث .

لقد كانت الحماسة الدينية لدى الصليبيين وأطماعهم الاقتصادية ورغبتهم فى التملك والسيادة دافعا قويا لهم للإستيلاء على الشرق الإسلامى ، وعندما وضعوا أقدامهم بهذا الأقليم وبلاده أرادوا تحصين أنفسهم من هجمات المسلمين وتأمين ما استطاعوا الحصول عليه حربا وخديعة من أراض وممتلكات فى مملكة بيت المقدس الصليبية والإمارات الثلاثة ، ولهذا قاموا بتشييد كثيرا من القلاع ، ولم يتركوا جبلا أو مرتفعا يشرف على سهل أو

---

(8) ابن شداد ، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف رافع بن تميم (ت 632 هـ /1285 م) : سيرة صلاح الدين الأيوبى المسماة بـ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، القاهرة : دار الفرجانى ، 1988 .

(9)الأصفهاني ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الشهير بعماد الدين الكاتب الأصفهاني (ت 597هـ / 1200م). الفتح القسي في الفتح القدسي ، القاهرة : دار المنار ، د.ت.

(10) ابن الأثير (ت 630هـ / 1233م) أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني : الكامل في التاريخ ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي ، 12 جزءً في مجلد واحد ، الرياض : بيت الأفكار الدولية ، د.ن.، ص 1439 -1440.

(11) ابن واصل(ت 630هـ / 1233م) (ت 697هـ / 1298م) جمال الدين محمد بن سالم بن واصل: مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، تحقيق وتعليق جمال الدين الشيال ، 4 أجزاء ، الجزء الثانى ، القاهرة ، 1960.

(12) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) ترجمة وتعليق حسن حبشى ، 2 أجزاء ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2000.

(13) مجهول : ذيل وليم الصورى ، ترجمة وتعليق حسن حبشي ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2002.

(14) Ambroise , The Crusade of Richard Lion-Heart, trans. From the Old French by Hubert, M.J., New York, 1941.

وادى أو نهر إلا وشيدوا به قلعة ، كما بنوا حصونا داخل المدن والبلدات وأحاطوها بالأسوار والأبراج القوية ، وزادوا من إنشاء القلاع لتعويض النقص فى الرجال المحاربين الذين قتلوا فى المعارك ضد المسلمين أو قتلتهم الأوبئة والطواعين ، هكذا عملوا على تطبيق مظاهر النظام الإقطاعى الأوربى فى الشرق . (15)

وعندما قامت حركات الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين كانت هذه القلاع بمثابة حجر عثرة أمام القادة المسلمين وكان عليهم السيطرة عليها أو إسقاطها وتخريبها حتى يتجنبوا أخطارها . وقد عرفت سياسة هدم المدن والقلاع بعد الغزو الصليبى للشام فى عصر سابق لصلاح الدين الأيوبى ، حيث جاء في بعض المصادر روايات متناثرة عن قيام بعض القادة المسلمين باستخدام هذه السياسة فى حروبهم ضد الصليبيين فى الشام ، ومن أهمهم نور الدين محمود (16) القائد الزنكى الذى نشطت فى عهده حركات الجهاد

---

(15) ج.ج. كولتون: عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة ، ترجمة وتعليق جوزيف نسيم يوسف ، الإسكندرية : دار المعارف ، 1967، 37.؛ محمود سعيد عمران:حضارة أوربا في العصور الوسطى ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1998، ص 60 – 61 ، 83 – 84. ؛ نيفين ظافر حسيب الكردى : الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية فى الغرب الأوربى من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر ، ماجستير – كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية بغزة ، 2011، ص 205 ، 210.

(16) نور الدين محمود: ينتمي للبيت الزنكي الذين تركز حكمهم في شمال سوريا والعراق منذ عام 1127 م ، وكانت عاصمتهم الأولى مدينة حلب ، ثم انتقلت إلى دمشق ، وخلف نور الدين أباه عماد الدين زنكي على كرسى الحكم فى عام 1146 م ، وفي عهده توسعت الدولة وضمت أجزاء عديدة من بلاد الشام والجزيرة وسنجار ودمشق وحلب وشيزر وبعلبك ومصر ، وتميز عهده بكثرة الاهتمام بالسياسة الداخلية لدولته ، فاهتم بالتعليم وزاد في إنشاء المدارس ومكتبات تضم أمهات الكتب ، ورفع قيمة العلماء ونشر لواء الحضارة الإسلامية ، واهتم بالصحة وأسس البيمارستانات ، وأصلح القضاء ، وكان يستمع لشكاوى الناس و ينصفهم . أما سياسته الخارجية فقد أسس جيشا قويا ، كان من بين قادته بعض أفراد من البيت الأيوبي مثل أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبي ، كما كان العدو اللدود للصليبيين فى عصره ، واشتبك معهم في معارك كثيرة ، وتوفي عام 569هـ / 1174م.

للمزيد من التفاصيل عن سيرة نور الدين محمود وجهاده ضد الصليبيين والأرمن وأعماله راجع :

Anonymous, Anonymous, The First and Second Crusades from an Anonymous Syriac Chronicle , trans. By Tritton , A. S. , not. by Gibb , H. A. R., Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, No.1, pp 69- 101, Cambridge, (June, 1933.pp 70- 74 ; Andrew Jotischky, Crusading and the Crusader States, 2 ed., London, 2017, pp 95 ff.;

أبو شامة (ت 665 هـ/ 1267 م) شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم المقدسى الدمشقى المعروف بأبى شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، حققه وعلق عليه أبراهيم الزيبق ، 5 أجزاء ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1997، ج 1 ، ص 93 وما بعدها ، ج 2 ، ص 5 وما بعدها . ؛ حسين مؤنس : نور الدين محمود سيرة مؤمن صادق ، جدة : الدار السعودية للنشر والتوزيع ، 1987. ؛ ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، 1993 ، ص 386 وما بعدها .؛ محمد محمد مرسى الشيخ : عصر الحروب الصليبية فى الشرق ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1996، ص 255 -330 . ؛ الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها 1097م- 1144م ، الإسكندرية : دار الثغر ، 1974، ص 82 وما بعدها. ؛ على محمد الصلابى : نور الدين محمود زنكي

الإسلامى فى الشام والعراق. حيث اتبع سياسة هدم المدن والحصون فى حروبه ضد الصليبيين ، ومن أمثلة هذا أن الصليبيين نقضوا هدنة عقدوها معه فى فى نوفمبر 1156م / شوال 551هـ ، وكانت مدتها سنة كاملة ، وقبل نهايتها وفي العشر الأواخر من ذى الحجة 551 هـ / يناير 1157م قاموا بهجوم على المراعي المجاورة لمدينة بانياس [17]، حيث كانت قوافل المسلمين ترعى قطعان مواشيهم وأغنامها بها ، فاعملوا فيهم القتل والأسر وسرقوا القطعان وعادوا إلى بلادهم [18] ، مما دفع نور الدين إلى القيام بالهجوم على المدينة في 19 مايو 1157م / 7 من ربيع الآخر 552 هـ ، ونجح فى دخولها عنوة ، وقتل وأسر الكثير من سكانها الصليبيين ، وهدم أسوارها وقلعتها ومنازلها وأحرق محاصيلها ومنتجاتها وبضائعها ، ثم رحل عنها ، ووصلت نجدات صليبية لها وعلى رأسها الملك الصليبي بلدوين الثالث Baldwin III(1143 – 1163م) الذى دخلها بعد رحيل المسلمين عنها ، وقام بمجهودات كبيرة في إعادة إعمار منازلها ، و بناء سورها وأبراجه وأبوابها [19] . كما قام نور الدين بهجوم على بعض حصون وبلدات للصليبيين ببلاد الشام وسلب وحرق وخرب أسوارها ومنازلها وحقولها بعد أن أرسل له تابعه بمصر صلاح الدين

شخصيته وعصره ، القاهرة : دار الأندلس الجديدة ، 2008.

(17) بانياس : بلد كبير فى الشام ، له أسماء عديدة منها بلنياس وذكر في التوراة باسم دان ، وأطلق عليها الرومان قيسارية فيلبى ، ونيرونياس إكراما للإمبراطور نيرون ، أسسها الملك اليهودى فيلبس بن هيرودس وأطلق عليها اسم قيسارية تكريما للإمبراطور الروماني تيباريوس ، ينبع نهر الأردن بالقرب منها ، تمتلك تربة زراعية جيدة يكثر بها المزارع والبساتين والفاكهة والمراعى الطبيعية وبها غابة شجرية يعيش فيها بعض أنواع الحيوانات المفترسة ، استولى عليها الصليبيون عام 1130 م ، وبنوا بها قلعة حصينة ، واستعادها المسلمون عام 1165 م.

راجع : بنيامين التطيلى : مصدر سابق ، ص 268 – 269 . ؛ جاك دي فيتري : خطاب إلى البابا الرومانى هونوريوس ، مؤرخ فى الفترة بين 14 إلى 22 سبتمبر 1218م ، بكتاب رسائل جاك دي فيتري نقلا عن لغتها اللاتينية دراسة وثائقية فى العلاقات بين الشرق والغرب 1200 – 1240م ، ترجمة وتعليق ودراسة عبد اللطيف عبد الغنى السيد ، ليبيا : المكتب الجامعي الحديث ، 2005 ، ص 87 .

(18) ابن القلانسي : (550 هـ /1160م) أبو يعلى حمزة بن أسد بن على بن محمد : تاريخ أبي يعلى حمزة ابن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق تتلوه نخب من تواريخ ابن الأزرق الفارقي وسبط ابن الجوزي والحافظ الذهبى ، القاهرة : مكتبة المتنبى ، 1997 ، ص 336 – 337.

(19) وليم الصوري : مصدر سابق ،ج 3، ص 406 – 408.؛ ابن القلانسي : مصدر سابق ، ص 340-341 .

كما يضيف ابن القلانسي أن أحد القادة من جيش نور الدين قام فى 13 ربيع الأول 552هـ / 24 أبريل 1157م بقطع الطريق إلى بانياس لسبب أخر وهو أنهم علموا بقيام الملك الصليبى بالإرسال إليها قافلة كبيرة تضم سبعمائة فارس من جماعتى الداوية والاسبتارية عدا المشاة ، وتحمل كميات كبيرة من الأسلحة والمهمات القتالية والمعدات والمؤن والأموال والبضائع ، ونجح القادة المسلمون فى اعتراض القافلة واستولوا عليها وقتلوا عددا كبيرا من فرسانها ورجالها ، وأسروا ما تبقى منهم .

راجع : ابن القلانسي : مصدر سابق ، ص 338 – 339.

الأيوبى بطلب المساعدة فى التصدى لهجوم الملك الصليبى عموري الأول Amalric I (1163 – 1174م) على مصر ونزوله بمدينة دمياط عام 1165 م / 565 هـ . [20]

ثم برزت شخصية القائد المسلم صلاح الدين الأيوبى أشهر القادة في جيش نور الدين محمود ، وكان متدينا تقيا ، وقد ساءه وجود الصليبيين فى الأماكن المقدسة . وتقلد منصب الوزارة فى مصر فى عهد الخليفة العاضد الفاطمى (1151– 1171م /546– 567هـ) فى عام 1169م / 564 هـ ، وبعدها سقطت الخلافة الفاطمية فى مصر بعد وفاة العاضد لدين الله في عام 1171م / 567هـ، وأصبح سلطان مصر [21] . ثم توفى نور الدين محمود بدمشق عام 1174م / 574 هـ [22]، وانقسم أمراء البيت الزنكي على أنفسهم ، فى وقت كان صلاح الدين يفكر فى إعادة الجبهة الإسلامية المتحدة وتشكيل حلف إسلامى يحارب به الصليبيين ، فقام بالسيطرة على دمشق عام 1174م / 570 هـ ، ثم سيطر على حمص ومن بعدها بعلبك في عام 1175 م / 570 هـ ، وضم حلب وحارم عام 1183م/ 578 هـ ، وعقد اتفاقية تحالف مع عز الدين مسعود صاحب الموصل في عام 1186م / 581 هـ [23] ، وبهذا يكون صلاح الدين أعاد توحيد الجبهة الإسلامية بعد أن تفككت بعد وفاة نور الدين محمود ، وحاصر الوجود الصليبى فى مملكة بيت المقدس وإمارتى أنطاكية وطرابلس ، وصارت هذه الكيانات الصليبية تشبه الجزر المتناثرة وسط محيط إسلامي شاسع . وقد استخدم صلاح الدين سياسة هدم المدن والحصون فى حروبه ضد الصليبيين حتى قبل إلحاقه الهزيمة بهم في موقعة حطين و مجيء الحملة الصليبية الثالثة إلى بلاد الشام ، ومنه أنه خرج من مصر على رأس حملة عسكرية لمهاجمة أملاك الصليبيين فى جنوب فلسطين

---

(20) ابن شداد : مصدر سابق ، ص30. ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1742.
للمزيد من التفاصيل عن حملة عمورى على دمياط راجع : وليم الصوري : مصدر سابق ، ج4 ، ص 12 وما بعدها .
(21) ابن شداد : مصدر سابق ، ص 32- 35 . ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1440، 1447.
(22) ابن شداد : مصدر سابق ، ص 36 . ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1757. ؛ أبو شامة : مصدر سابق ، ص 309.
(23) ابن شداد : مصدر سابق ، ص 38 وما بعدها . ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1772 ، 1780 وما بعدها .؛ أبو شامة : مصدر سابق ، ج2 ، ص 339 وما بعدها ، ج3 156 وما بعدها .
للمزيد من التفاصيل حول جهود صلاح الدين فى توحيد الجبهة الإسلامية راجع :
حمدى عبد المنعم محمد حسين : تاريخ الأيوبيين والمماليك ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 2000 ، ص 39 – 60. ؛ عبد الله سعيد محمد الغامدى : استرداد بيت المقدس فى عصر صلاح الدين ، رسالة ماجستير كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1401هـ ، ص 23 -91.؛ أحمد الشامى : مرجع سابق ، ص 78 – 82 .

فـى أوائـل شـهر جمـادى الأولـى 569هـ / أكتـوبر 1177 م [24]، ردا علـى مهاجمـة الصليبيين حصن حارم [25] ، وسلك طريق الساحل وجاز العريش وعبر سيناء وسار حتى مر بقلعتي الداروم وغزة وكانتا بيد الداوية وتجاوزهما حتى وصل أمام عسقلان[26] ونصب معسكره هناك وقام بحصارها [27] . وقام الجاولى قائد صلاح الدين بقيادة بعض القوات وهاجم الرملة [28] ودخلها وأضرم النار بها، ثم قام بمهاجمة بلدة اللد [29] ، وقتل بعض

---

(24) ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1769 . ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 41. ؛ وليم الصوري : مصدر سابق ، ص 210 ، 213.
يذكر ابن شداد أن حصار الصليبيين لحصن حارم كان في جمادى الآخرة ، وليس جمادى الأولى فى هذه السنة .
راجع : ابن شداد : مصدر سابق ، ص 41.

(25) ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1770 . ؛ وليم الصوري : مصدر سابق ، ص 210.
يذكر ابن شداد أن حصار الصليبيين لحصن حارم كان في جمادى الآخرة ، وليس جمادى الأولى فى هذه السنة .
راجع : ابن شداد : مصدر سابق ، ص 41.

(26) عسقلان : مدينة تقع فى جنوب ساحل فلسطين ، بين مدينتي غزة وبيت جبرين ، ويرى البعض أن اسمها أعجمي أو آرامي ويعني أعلى الرأس أو المكان المرتفع ، وحدها الغربى البحر ، أما الشرقى فيمتد فى اليابسة على شكل قوس ، يحيط به سور كبير يعلوه أبراج الحراسة ، ولها أربعة أبواب هى : باب القدس ويقع ناحية الشرق ، ويطل على بيت المقدس ، وهو أكبر أبوابها ، وباب البحر من ناحية الغرب ، وباب غزة من ناحية الجنوب ، ويشرف على مدينة غزة ، والرابع يدعى باب يافا ؛ لأنه يفتح شمالا باتجاه مدينة يافا . كانت فى حوزة الفاطميين ثم استولى عليها الصليبيون عام 1153 م / 547 هـ.
راجع :
Jaques De Vitry, The History of Jerusalem, trans., by Aubrey Stewart, in P.P.T.S., vol.XI, London, 1896, p 15, 102;
بنيامين التطيلى : مصدر سابق ، ص 262. ؛ ياقوت الحموي (ت 626 هـ / 1228) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الملقب شهاب الدين : معجم البلدان ، 5 أجزاء ، بيروت : دار صادر ، 1977،ج 4 ، ص122 . ؛ محمد كاظم كمر الربيعى ، عسقلان ودورها في الحروب الصليبية (492 – 548هـ / 1099 – 1153 م) ، كلية الامام الكاظم قسم التاريخ ، مجلة الإمام الكاظم للعلوم الإنسانية ، العدد 2 ، 2018، ص 157 – 182 ، ص 160 وما بعدها .

(27)وليم الصوري : مصدر سابق ، ص 213 – 214. ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1769.

(28) الرملة : عرفت بهذا الاسم نسبة إلى كثرة الرمال فيها ، وهناك من يقول إنها نسبة إلى اسم سيدة كانت تسكن هذا الموقع ، وهي مدينة كبيرة ومزدهرة بفلسطين ، كانت قصبة البلاد ، وكان بها دار الملك داود النبى وابنيه سليمان ورحبعام ، أعاد بناءها الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك وجعل بها قصرا له ، وشيد به مسجدا كبيرا وصهريجا للمياه ، وأحاطها بسور حصين به بوابة حديدية كبيرة . والمسافة بينها وبين بيت المقدس تقدر ثمانية عشر يوما ، وكثر بها بساتين الفاكهة ، وبها مساجد كبيرة ، واسعة الشوارع ، وتتعدد بها الحمامات ووسائل الترفيه ويوجد بها فنادق وقيساريات ، وتتصل بدروبها ببيت المقدس ويافا ومصر . استولى عليها الصليبيون بعد سقوط بيت المقدس فى أيديهم فى مايو عام 1099م/ جمادى الآخرة 492هـ .
راجع : الأصطخرى (ت 346 هـ / 957م) ابو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسى الأصطخرى المعروف الكرخي: مسالك الممالك ، ليدن ، 1937 ، ص 56- 57 ؛ ابن حوقل (عاش فى القرن الرابع الهجرى / القرن العاشر الميلادى) أبو القاسم بن حوقل النصيبي : صورة الأرض ، 2 قسم فى مجلد واحد ، بيروت : دار صادر ، 1938، ج1 ، ص 173 ، 186 . ؛ ناصر خسرو (ت 453 هـ /1061 م) أبو معين الدين العلوي: سفر نامه ، ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة : الهيئة= =المصرية العامة للكتاب ، 1993، ص 65-

سكانها وأسر البعض ، ولاذ غيرهم بكنيسة القديس جورج ، وخشى سكان القدس مصير الرملة واللد فأحتشدوا فى الحصن المسمى ببرج داود بالمدينة وفر بعضهم إلى الأماكن المرتفعة ، وخلفوا وراءهم متاعهم وممتلكاتهم وبضائعهم ، وتفرقت فرق من قوات المسلمين وراحوا يغيرون على البلدات والقرى والحقول [30] . ويذكر ابن الأثير أن الفرق الإسلامية نهبوا وقتلوا وأسروا وأحرقوا وأغاروا على مدن وحصون الصليبيين جنوب عسقلان وحولها ، واتفق مع وليم الصورى فى ذكر مهاجمة الجاولى القائد المسلم لمدينتى الرملة واللد ومظاهر القتل والتخريب والهدم التى قام بها فى البلدات والمدن .[31]كما قام صلاح الدين بالهجوم على حصن مخاضة يعقوب [32] فى 27 مايو عام 1179 م / 18 ذى الحجة 574 هـ ، لكن ما لبث أن رفع الحصار سريعا عنها واتجه إلى صيدا [33] وتعددت غاراته عليها ،

---

66. ؛ ياقوت الحموي : مصدر سابق ، ج 3 ، ص 69 – 70 . ؛ ابن خرداذبة (ت 280 هـ/ 893 م)أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، بيروت : دار صادر ، 1889 ، ص 152 . ؛ المقدسي البشاري : مصدر سابق ، ص 165 -166. ؛ الهمذانى . ؛ شامخ زكريا علاونه وسعيد عبد الله البيشاوي **:** إقطاعية اللد والرملة فى عصر الحروب الصليبية (الفرنجية) 1099 – 1187م / 492 – 583هـ (دراسة تاريخية) ، مجلة دراسات ، العلوم الإنسانية والاجتماعية ، عمادة البحث العلمي ، الجامعة الأردنية ، مجلد 48 ، عدد 4 ، ملحق 2 ، 2021، ص 30 – 43 ، ص 32.

(29) اللد : بضم اللام وتشديد ، والبعض يلفظها بكسر اللام ، هى مدينة قديمة أسسها الفلسطينيون وأطلقوا عليها هذه التسمية نسبة إلى اللديون سكان إقليم فريجيا بآسيا ، وتقع على مسافة 16 كم جنوب شرق مدينة يافا ، وخمسة كم شرق مدينة الرملة ، وترتفع خمسين مترا فوق مستوى سطح البحر ، وكانت مدينة كبيرة فى عصر الرومان وأطلقوا عليها اسم ديوسبوليس ، ومارسوا فيها كثيرا من أنماط التجارة نظرا لوقوع المدينة على ساحل البحر المتوسط ، وحصلوا على ثروات كبيرة ، عرفت المسيحية منذ وقت مبكر ، وكان بها كنيسة كبيرة وقبر أشهر الشهداء المسيحيين الشهيد جرجس الرومانى ، واستولى عليها الصليبيون فى عام 1099م / 492هـ وجعلوها لوردية ، وجددوا كنيسة الشهيد جرجس ، وشيدوا بها إبيروشية وعلى رأسها أسقف لاتينى ، استعادها صلاح الدين بعد موقعة حطين في عام 1187م / 583هـ.

راجع : ياقوت الحموي **:** مصدر سابق ، ج 5 ، ص 15 . ؛ بنيامين التطيلى : مصدر سابق ، ص 242. ؛ شامخ زكريا علاونه وسعيد عبد الله البيشاوي : مرجع سابق ، ص 31 وما بعدها .

(30) وليم الصوري : مصدر سابق ، ص 215- 216 . ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1769 .

(31) ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1769 .

(32) حصن مخاضة يعقوب : يقع في إقليم الجليل ، على المجرى الأعلى لنهر الأردن ، بين بحيرة الحولة وبحر الجليل ، وجنوب مدينتى بانياس دمشق ، و يبتعد عن بانياس مسافة عشرين كيلو مترا ، وشمال إقليم طبرية ، وفي الغرب منه يقع حصن تبنين، بدأ الملك الصليبي بلدوين الرابع فى بنائه فى أكتوبر عام 1178 م / 574 هـ ، وانتهى منه فى ستة أشهر بتاريخ ابريل عام 1179م / ذى القعدة 474 هـ، ويقع فوق هضبة مرتفعة ، وكان أساسه من الحجر الأصم ، أخذ الشكل الرباعي ، و سميك الجدران وارتفاعه معقول ، يتحكم في الطريق بين دمشق وأقليم الجليل ، ويقطع طريق القوافل التجارية ، كما يشرف على المراعى الغنية فى هذه المنطقة. وقام بدور كبير فى الحد من اللصوصية فى هذه المنطقة .

راجع: وليم الصوري : مصدر سابق ، ص 227، 237 . ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1772. ؛ ابن واصل : مصدر سابق ، ج 2، ص 72.

(33) صيدا : وتسمى صيدون وسيدون وساجيت ، مدينة وبها قلعة ، تقع المدينة على الساحل الجنوبى من لبنان فى موقع مدينة صيدون الفينيقية ، ولها ميناء شهير كان ينقل البضائع من بلدان البحر المتوسط ، وتقع على متسع من الأرض ، وتمتد أراضيها قليلا داخل البحر ، وكان للمدينة أسوار قوية وقلعة تحميها من

وقام باستباحتها وخرب بعض منازلها ، وأرسل بعض فرقه للهجوم على شمال إقليم الجليل ما بين بانياس ونهر الأردن ، وقامت بالاستيلاء على المحاصيل وحرق بعض القرى الصليبية وتخريبها [34] . وفى شهر أغسطس أعاد صلاح الدين حصار قلعة مخاضة يعقوب وشدد هجماته عليها حتى أسقطها ، وقام بتخريبها تماما حتى سواها بالأرض ، أما أصحابها من الداوية فراحوا ما بين قتيل وأسير . [35]

أخذ صلاح الدين يعد العدة فى بدأ الجهاد الأكبر ضد الصليبيين لطردهم من بلاد الشام . وانتهز فرصة اعتداء رينو دي شاتيون Renaud de Châtillon أمير الكرك[36] الصليبى (1177– 1187م) ، على قافلة إسلامية كبيرة كانت تمر بالطريق قادمة من القاهرة وذاهبة إلى دمشق ، فاعترضها واستولى عليها [37] . فكان هذا الهجوم بمثابة

جهة اليابس تسمى قلعة المعزة ، ولها قلعة أخرى تقع على ساحل البحر . سقطت فى يد الصليبيين عام 1110م .
راجع : ولفغانج مولر فيز : القلاع أيام الحروب الصليبية ، ترجمة محمد وليد الجلاد ، الطبعة الثانية ، دمشق : دار الفكر ، 1984، ص 90 – 91. ؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة صيدا فى العصر الإسلامى ، الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة 1986، ص 9 وما بعدها .

(34) وليم الصوري : مصدر سابق ، ص 231- 232 . ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 48 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1772.

(35) وليم الصوري : مصدر سابق ، ص 237. ؛ ابن واصل : مصدر سابق ، ج 2، ص 80 – 85.

(36) الكرك : أطلق عليه إقليم البتراء ، ويمتد بين البحر الميت وبحيرة طبرية في الشمال إلى خليج العقبة في الجنوب ، و يحده إقليم الخليل من الغرب ، يتوفر بها مصادر المياه ، ويكثر الحقول والبساتين ، ويشرف عليه قلعة حصينة تم بناؤها عام 1142 م على يد الملك الصليبى فولك دي أنجو ، وتقع في جنوب الأردن فوق نتوء صخرى شديد الوعورة جنوبى مدينة الكرك ، على ارتفاع 960 متر فوق سطح البحر ، وتقع على مسافة 130 كم جنوب عمان ، بغرض الدفاع عن مواقع الصليبيين بشرق الأردن ومراقبة طريق القوافل عبر الأردن وشبه الجزيرة العربية ومصر .
راجع: ياقوت الحموي : مصدر سابق ، ج4 ، ص 453. ؛ وليم الصوري : مصدر سابق ، ج3 ، ص 221، 304 . ؛ محمد عدنان البخيت : مملكة الكرك في العصر المملوكي ، بيروت ، د.ن. ، ص 5 وما بعدها ؛ سعد محمد المومني : القلاع الإسلامية فى الأردن الفترة الأيوبية المملوكية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، 1985، ص 136 وما بعدها . ؛ محمد الجهينى : إطلالة على العمارة الحربية في شرق العالم الإسلامي عبر العصور، القاهرة : الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2007، ص 12 .
Bernard Hamilton, Baldwin the Leper as War Leader,in: From Clermont To Jerusalem The Crusades and Crusader Societies 1095-1500, International Medieval Congress Universitts 10 -13 July , 1995, pp 124-125.

(37) مجهول : ذيل وليم الصوري : مصدر سابق، ص 52 . ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 60 – 61. ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1992. ؛ ابن العديم : (660 هـ / 1262 م) كمال الدين ابى القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم الحلبي الحنفي : زبدة الحلب من تاريخ حلب، وضع حواشيه خليل المنصور ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1996، ص 409– 410.؛ ؛ ابن واصل : مصدر سابق ، ج 2، ص 185. ؛ محمود سعيد عمران: تاريخ الحروب الصليبية 1095– 1291م، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2000، ص 128.؛ محمد محمد مرسى الشيخ: عصر الحروب الصليبية فى الشرق، ص 357– 358.

السبب المباشر الذى جعل صلاح الدين يتحرك للحرب على الصليبيين [38]. وبالفعل قام يستنفر الناس للجهاد فى مستهل عام 1187م/ 583هـ ، وأرسل للحكام والأمراء فى أنحاء العالم الإسلامى لإعداد أنفسهم لمواجهة الصليبيين واسترداد المدن والحصون الإسلامية [39]. وعند قرية " حطين " بغرب طبرية [40] حدثت الموقعة الكبيرة بين الطرفين الإسلامي والصليبي في 4 يوليو 1187م /24 ربيع ثان 583هـ ، وانتصر المسلمون نصرا مؤزرا ، وقام الناصر صلاح الدين بقتل رينو دي شاتيون بيده برا بقسمه ، وأبقى على حياة الملك الصليبى وقادته ، بينما قتل مقدمي الداوية والاسبتارية .[41] ويُذكر أنه بعد حطين مباشرة نازل صلاح الدين مدن وحصون الصليبيين في فلسطين وبلاد الشام واستطاع السيطرة على جميع مدن وحصون مملكة بيت المقدس الصليبية ما عدا مدينة صور ، واسترد كل مدن وحصون إمارة أنطاكية فيما عدا مدينة أنطاكية ذاتها وحصن المرقب وميناء السويدية ، وكل مدن وحصون إمارة طرابلس دون مدينة طرابلس وقلعة أنطرسوس . [42]

يذكر صاحب ذيل وليم الصوري أن القافلة كان بها والدة صلاح الدين الأيوبى .

(38) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة مصدر سابق ، ج 1 ، ص 32 .؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 60.

Madden , T., F., The Concise History of the Crusades, U.K., 2014, p 72 .

(39) ابن شداد : مصدر سابق ، ص 58 ؛ الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 42 . ؛ أحمد الشامى : مرجع سابق ، ص 78 – 82 .

وراجع:

David Nicolle, The Third Crusade 1191, Richard The Lionheart , Saladin and the Struggle for Jerusalem, Oxford , 2006, p 10 - 11.

(40) طبرية: مدينة تقع في شمال شرق فلسطين وغربى بحيرة طبرية ، وتبعد عشرين كيلو متر عن مصب نهر الأردن الجنوبي في بحيرة طبرية ، وتبعد مائة وستين كيلو مترا عن مدينة القدس ، ومسافة مائة وأربعين كيلو مترا عن مدينة اللد ، بنيت فى عهد الملك هيرودس أنتيباس عام 22 م ، أخذت اسم الإمبراطور طيباريوس الرومانى ، ولأنها تقع على طريق القوافل التجارية بين دمشق ومصر فقد ازدهرت اقتصاديا ، وعاشت بها جالية يهودية كبيرة بعد تدمير القدس على يد الإمبراطور تيتوس عام 70 م ، فتحها خالد بن الوليد عام 636م/ 15هـ، واستولى عليها الصليبيون عام 1099م / 492هـ= = للمزيد من التفاصيل راجع : بنيامين التطيلى : مصدر سابق، ص 264 – 266 . ؛ فؤاد عبد الرحيم حسن الدويكات : إقطاعية طبرية ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي (492- 690هـ / 1099 – 1291م) ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك – كلية الآداب ، قسم التاريخ ، 1996، ص 3 – 36.

(41) للمزيد من التفاصيل حول معركة حطين راجع : مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 1 ، ص 34 – 36 .؛ مجهول : ذيل وليم الصوري ، ص 86- 91. ، الأصفهاني ص 50 - 51 .

يذكر عماد الدين الأصفهاني أن المعركة وقعت يوم السبت 25 من ربيع الثانى ، بينما يوم السبت يوافق 24 وليس 25 ، وهو ما اتفقت عليه المصادر الآخرى .

(42) حسين عطية : مرجع سابق ، ص 217 ، 220 .

كان من أهم نتائج استعادة صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس وكثير من إقطاعيات المملكة الصليبية ومدنها وبلداتها ، وما يقدر عدده بخمسين قلعة صليبية [43] أن قامت أوروبا بالحملة الصليبية الثالثة ، وخرجوا من أوروبا تجاه الشرق اللاتينى فى صيف 1189م / 585 هـ [44]. وكان فردريك بربروسا إمبراطور ألمانيا بربروسا Frederick Barbarossa (1152 – 1190م) ، أول من خرج من أوروبا لمحاربة المسلمين في الحملة الصليبية الثالثة ، في مايو 1189 م / ربيع أول 585 هـ [45] ، وصرح الأصفهانى أنه كان على رأس ثلاثمائة ألف مقاتل [46]، أما رواية ابن شداد فقدرتهم ما بين مائتي ألف ومائتين وستين ألفا [47] ، وذكر مصدر آخر أنه يتكون من ثمانين ألفا من المشاة وثلاثين ألف فارس [48]، ويرى أحد المؤرخين أن عدد الجيش الألمانى لم يزد عن المائة ألف جندى من الفرسان والمشاة[49] .وتعرض فردريك للغرق في نهر السالف وهو يعبر إقليم قليقية ، وتوفي في 10 يوليو 1190م / 5 جمادى الأولى 586 هـ [50]. وعاد كثير من جيشه ومات بعضه جراء الإصابة بالأمراض ، أما ما تبقى منهم فقد صاحبوا ابنه الأمير فردريك دوق سوابيا وساروا في طريق أنطاكية [51] .

وكان حصن بغراس[52] أقرب الحصون إلى الألمان فى تقدمهم صوب أنطاكية ، وكان بيد المسلمين منذ استرداد صلاح الدين له بعد حطين في 17 سبتمبر 1188م / 23 رجب

---

(43) Robert Jones, op cit, p 18.

(44) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 1 ص 55 وما بعدها . ؛ مجهول : ذيل وليم الصوري ص 152. ؛ رنسيمان : مرجع سابق: ، مج 3 ، ج1، ص 147 – 148 .

(45) مجهول: ذيل وليم الصورى ص 164 ، 166. ؛ مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 1 ص 76 .

(46) الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 179.

(47) ابن شداد : مصدر سابق ، ص 92 .

(48)مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 1 ص 76 .

(49) أحمد الشامى : مرجع سابق ، ص 149 .

(50) راجع : مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 1 ص 63 – 82 . ؛ مجهول : ذيل وليم الصورى ص 163 - 173.؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1815 .
Timothy Venning, Chronology of the Crusades, London , 2015, p 201.

(51) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 1 ، ص 83 -84. ؛ مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 175 . ؛ اين شداد : مصدر سابق ، ص 103. ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1816 .

(52) حصن بغراس : ويسمى باغراى وغاستن وغاستين ، يقع فى لواء الإسكندرونة بين شعاب جبال الأمانوس الشرقية ، وتتحكم فى الطريق الذى يربط بين أنطاكية والإسكندرونة وقليقية ، وتقع فوق مخروط صخري شديد الانحدار ، وشيد على عدة درجات ترتبط ببعضها عن طريق السلالم الصخرية ، وتصميمها يشبه تصميم القلاع الأرمينية من حيث كثرة العقود والممرات والغرف ، وقد شيد قبل قدوم الصليبيين للشرق ، واستولوا عليه عام 1097م ، وتسلمه الداوية الذين ذادوا في تحصينه .

584 هـ . [53]وقرر صاحب ذيل وليم الصورى أنه عندما علمت الحامية الإسلامية فى حصن بغراس بتقدم الجيش الألمانى قاموا بإخلائه ، ونجح الداوية في الحصول عليه لأنه كان من أملاكهم قبل حطين [54]. يتضح من هذا أن الحامية الإسلامية فى حصن بغراس كانت صغيرة العدد وقليلة التسليح ولم تستطع مواجهة الصليبيين ، لذلك لم تغامر بنفسها في معركة خاسرة ، فأخلت الحصن وهربت .

بينما توجد رواية ثانية لإحدى المصادر الآخرى تتعلق بهذا الأمر ، وهى رواية لمؤرخ مسلم معاصر هو ابن شداد الذي ذكر أن دوق سوابيا ابن الإمبراطور فردريك قاد جيش أبيه وقسمه ثلاث فرق وأرسله للسير باتجاه أنطاكية ، وقامت إحداهن بحصار قلعة بغراس ومهاجمتها ، ولكن رجال القلعة استطاعوا أسر مائتى صليبى منها ، ونهبوا كثيرا من الزاد والجياد والعدد والآلات [55]. يلاحظ هنا أن المصدر جاء برواية مختصرة نوعا ما عن مهاجمة الألمان لحصن بغراس فى هذا الوقت ، ويفهم مما ذكره أن الفرقة الصليبية تعرضت للهزيمة من حامية الحصن الإسلامية . ومن ثم نجد أن بين هاتين الروايتين السابقتين مغالطة ومعارضة ، فالرواية الإسلامية تقرر هزيمة الصليبيين أما الرواية الصليبية فتقول عكس هذا ، وأن الصليبيين تسلموا الحصن بعد هروب المسلمين منه .

جدير بالذكر أن تفسير هذا الأمر يتطلب عرض روايات أخرى تتعلق به ، أولها : أوردها المصدر الصليبى السابق ومفادها أنه بينما كان صلاح الدين يقوم بمهاجمة الصليبيين المحاصرين لمدينة عكا [56] أصابه القلق حين علم باقتراب الإمبراطور الألمانى من أنطاكية

راجع : مولر : مرجع سابق ، ص 58. ؛ حسين محمد عطية : مرجع سابق ، ص 236 – 237.

(53) الأصفهانى : مصدر سابق، ص 139- 140. ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 72 – 73. ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1806 .

للمزيد من الروايات حول استرداد المسلمين بغراس راجع : ابو شامة : مصدر سابق ، ص 40 – 42. ؛ ابن واصل : مصدر سابق ، ج2، ص 268 – 269.

(54) مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 170.

(55) اين شداد : مصدر سابق ، ص 103.

(56) عكا : تأسست فى الألف الثالث قبل الميلاد على يد الكنعانيين وأطلقوا عليها اسم عكو Akko وتعنى الرمل الحار ، وأطلق عليها الكتاب المقدس اسم عكا ، أما البطالمة فأطلقوا عليها اسم بطلومايس أو بطلومى ، وأطلق عليها الرومان اسم مستعمرة كلوديا الحربية ، وعند المسلمين " عكا " أو عكة ، وهى تقع على ساحل البحر المتوسط ، وطول ساحلها أربعين كيلو متر ، يحدها مدينة صور من الشمال ، ومدينة حيفا من الجنوب ، ومن الشرق جبال الجليل ، كثيرة الأودية والأنهار ومنها وادي كركرة والقرن والبقيعة والقرين والصعاليق والمنفوخ وبيت جن والكابرى ، ومن أنهارها نهرى النعامين والمقطع ، وتملكت أراضي زراعية خصبة يزرع فيها مختلف أنواع المحاصيل الزراعية ، كما كانت مدينة تجارية كبيرة ونشطت تجارتها بفضل مينائها الكبير الصالح لرسو السفن ، ونظرا لأهميتها فقد كان يحيط بها سوران لحمايتها ، سقطت فى يد الصليبيين فى 1101 م / 494 هـ.

راجع : ياقوت الحموي : مصدر سابق ، ص 143 - 144. ؛ وليم الصورى : مصدر سابق ، ج2 ، ص

فأصدر أوامره لرجاله بهدم أسوار المدن الواقعة شمال الساحل الشامى مثل اللاذقية [57] وجبلة وجبيل [58] وبيروت وغيرها من المدن والحصون لئلا يستولي عليها الألمان ويشحنوها برجال جيشهم وتصير شوكة في ظهر المسلمين وينالهم الهزيمة والخسران [59]. والرواية الثانية وصاحبها عماد الدين الأصفهاني اتفق فيها مع الرواية الصليبية هذه [60] . ويتضح منه أن أيا منهما لم يأت فى روايته على ذكر حصن بغراس على الرغم من أهميته القتالية الكبيرة ، فقد كان أحد القلاع المنيعة الواقعة شمال أنطاكية ، وهو بوابة من بوابات بلاد الشام ولا سيما الطريق الساحلى لها .

وعند تحليل ومقارنة الروايات السابقة بعضها ببعض ، نلاحظ أن الرواية الثانية لصاحب ذيل وليم الصورى والرواية الثانية الإسلامية التى أوردها عماد الأصفهانى تحملان تفسيرا لموضوع الخلاف بين المصادر حول مسألة حصن بغراس ، ولكون هذا الحصن يعد أحد الحصون الشمالية فإنه يقع عليه مصير باقى الحصون الآخرى التى أمر صلاح الدين

---

317. ؛ جلال حسنى عبد الحميد سلامة : عكا فى أثناء الحملة الصليبية – الفرنجية الثالثة ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، 1993، ص 19 – 27..

(57) مدينة اللاذقية : كانت تمتلك موقعا يتمتع بالحصانة الطبيعية إلى حد كبير ، ومنه أنها بنيت فوق هضبة صخرية تشرف على البحر ، ويحيط بها المياه من ثلاثة جوانب ، وتتخذ شكل شبه جزيرة ، ويحدها من ناحية الشمال جبل اللكام ومن ناحية الشرق جبل الأنصارية ، وتبتعد عن أنطاكية من ناحية الجنوب بنحو تسعون كيلو مترا ، وتبتعد عن جبلة التى تقع فى جنوبها نحو عشرين كيلو مترا ، وتقع صهيون شرقها وتبعد عنها نحو ثلاثين كيلو مترا ، ولها ميناء متسع تكثر به الخلجان والتعاريج السهلية ، ويحميه سلسلة حديدية كبيرة ، ويحاط بها سور قوى يتخلله بابان أحدهما شرقى يشرف على مدينة أفامية، والآخر شمالي يشرف على مدينة أنطاكية ، ويقع برجان فوق كل باب منهما ، ويوجد بداخلها برج كبير يطلق عليه برج البحر يحمى المدينة من ناحية البحر.

للمزيد من التفاصيل راجع : ياقوت الحموي: مصدر سابق ، ج 5 ، ص 5- 7 . ؛ الأنصاري الدمشقي (727هـ / 1326م) شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي المعروف بشيخ الربوة : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، بغداد ، د.ن. ، ص 209 .؛ أبو الفداء (732هـ / 1331م) عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر : تقويم البلدان ، طبع في باريس ، 1840، ص 257. ؛ ابن حوقل : مصدر سابق ، ج1، ص 68 .؛ الاصطخري مصدر سابق ، ص 97. ؛ ابن بطوطه 0 ت 779 هـ -1377 م) أبو عبد الله محمد بن عبد الله : رحلة بن بطوطة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، حققه محمد عبد المنعم العريان ، 2 جزء ، بيروت : دار إحياء العلوم ، 1987 ، ج1 ، ص97 ، 290. ؛ كميل عزيز : لاذقية الشام ودورها فى العصر الإسلامى (1095 – 1291م / 488 – 690هـ) ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 2008، ص 57– 66.

(58) جبيل : مدينة وقلعة ، كانت المدينة تعرف بأسماء عدة مثل بيبلوس وجبيلة وجيبيلة ، يرجع تاريخ تشييدها إلى الألف الثالث قبل الميلاد ، كان أهلها يعبدون الآلهة أدونيس ، وتقع على الساحل اللبناني ، ولها ميناء صغير ، يحيط بها سور تعززه الأبراج التى تسهم فى حماية المدينة ، وتقع قلعتها فى الزاوية الجنوبية الشرقية منها ، ويقع بابها فى منتصف الوجهة الشمالية ، سكانها من المسيحيين والمسلمين واليهود ، استولى عليها القائد الصليبى ريموند دي صنجيل بمساعدة الأسطول الجنوي عام 1103 م.

راجع : بنيامين التطيلى : مصدر سابق ، ص 233 – 234. ؛ مولر : مرجع سابق ، ص 82.

(59) مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 174 .

(60) الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 210 .

بهدمها في شمال الساحل السوري مثل اللاذقية وجبلة وجبيل وبيروت . كما يرى الباحث أن الدافع وراء قيام صلاح الدين بهدم أسوار المدن والحصون المذكورة هو سقوط هذا الحصن فى يد الصليبيين ، مما جعل صلاح الدين يخشى وقوع المدن والحصون الآخرى التى استردها من إمارة أنطاكية . وعليه تكون سياسة صلاح الدين فى هدم المدن والحصون لمواجهة قوات الحملة الصليبية الثالثة نتيجة طبيعية لهذا الأمر ، وقد اتبعها صلاح الدين عندما رأى رجاله من حامية المدن والقلاع والحصون غير قادرين على حماية ما بأيديهم ، بسبب قلة أعدادهم وقلة تجهيزاتهم العسكرية فى مقابل جحافل الحملة الصليبية الثالثة التى بدأت أعدادها فى التكاثر وأظهرت تفوقا عدديا كبيرا على القوات الإسلامية التي تدافع عن الحصون ، واقترب جنودها من بلاد الشام .

وبعد سيطرة ما تبقى من قوات الحملة الألمانية على حصن بغراس وتسليمه للداوية تحركت قوات الحملة الإنجليزية والفرنسية من أوروبا فى 23 يونيو 1190م/ 18 جمادى الأولى 586هـ [61] ، وكان عدد جيشهما يزيد عن مائة ألف محارب سوى ما كان ينضم إليهما فى طريقهما [62]، وصل الملك الفرنسى فيليب أغسطس Philip Augustus (1180 – 1223م) عكا فى 20 أبريل عام 1191م / 23 ربيع الأول 587هـ [63]، وشدد الصليبيون الحصار عليها من ناحية البر والبحر حتى وهنت حاميتها الإسلامية [64] .وبعدها لحقه الملك الإنجليزى الذى بلغ عكا فى يوم السبت الموافق 8 يونيو 1191م / 13 جمادى الأولى 587 هـ [65] . وكان يقل جنوده وأسلحته وأدوات الحرب عدد خمسة وعشرين شانية [66]، فزادت به قوة الصليبيين المحاصرين للمدينة وارتفعت روحهم المعنوية ، وعلى الجانب الآخر عرف المسلمون أنه داهية وخبير فى الحروب ، وخشوا منه كثيرا [67] . وهو

(61) مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 180 . ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص104.
(62) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 1 ، ص 196. ؛ مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 175 . ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 103 – 104.
(63) مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 192.
(64) مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 193 - 194.
(65) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 10- 11 . ؛ مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 204 . ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 137.
(66) ابن شداد : مصدر سابق ، ص 137.
(67) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 11 - 13. ؛ مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 204، 206 ؛ الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 255.

ما عجل بتسليم المدينة للصليبيين فى 12 يونيو 1191م / 17 جمادى الأولى 587هـ ، بعد حصار دام عامين .[68]

بعدها بأيام قليلة عاد الملك فيليب أغسطس إلى فرنسا فى أغسطس عام 1191م / رجب 587 هـ [69]، وصار ريتشارد قائد الحملة ووقع على عاتقه استكمال أهداف الحملة وأهمها إعادة الاستيلاء على بيت المقدس واقطاعياتها التابعة لها التى استعادها صلاح الدين بعد هزيمة الصليبيين فى حطين . [70] و صرح أحد المصادر المعاصرة للحملة الصليبية الثالثة أنه بينما كان ملك فرنسا يعد نفسه للعودة إلى بلاده انشغل ريتشارد بترميم أسوار عكا أزادها ارتفاعا وتحصينا خوفا من أن يمتد إليها يد الهدم ويطولها التدمير [71] . هذه الرواية جاءت عرضا فى مصدرها ، ولكنها أشارت إلى أشياء فى غاية الأهمية وهى أنه بجانب تعرض سور المدينة وتحصيناتها لبعض التخريب والتدمير جراء حصار الصليبيين لها لمدة عامين ، واشتدادهم في ضربها بالمنجنيق وعملهم فى نقب أسوارها ، أنها تدل على خوف الملك ريتشارد من ترك عكا ومواصلة الطريق نحو بيت المقدس دون ترميم وإصلاح تحصيناتها ، لأنه خشي أن يعود إليها جيش صلاح الدين ويستعيدها بسهولة ، ويقوم بتهجير الصليبيين منها وإعادة تحصينها ، والتمنع بها ، أو يقوم باستكمال هدم أسوارها وتحصيناتها وتعريض سكانها الصليبيين للقتل والأسر ، بالإضافة إلى الاستيلاء على أموالهم وبضائعهم ، وينتج عن هذا إلحاق خسارة كبيرة لهم . كما نستنتج من هذه الإشارة قيام المسلمين بالعمل على زيادة تخريب وهدم أجزاء من سور المدينة وتحصيناتها بعد إقرار اتفاقية تسليمها للصليبيين ، وقبيل خروجهم منها حتى تصبح قليلة الفائدة لأعدائهم . وهذا الاستنتاج يتفق مع سياسة صلاح الدين فى هدم المدن والحصون فى وجه القوات الصليبية ، كما يؤكد هذا على معرفة الملك ريتشارد بهذه السياسة ، وأن الملك الصليبى كان على علم بأن السلطان صلاح

---

(68) للمزيد من التفاصيل حول المفاوضات حول تسليم عكا للصليبيين راجع :
مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 32 – 37 . ؛ مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 206 – 209 .؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 142- 149.؛ الأصفهانى : مصدر سابق، ص 269 – 270.

(69) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 45. ؛ مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 215.

(70) راجع : مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 1، ص 130 – 133 ، 157- 162 . ؛ فضيلة حسن خلف المفرجي : أسرة مونتفرات وأثرها فى الحروب الصليبية ، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة كركوك ، مجلد 7 ، عدد 21 ، 2015، ص 396- 424، ص 410 – 412 .

(71) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2، ص 47.

الدين استخدم هذه السياسة قبلا لدفعات عديدة فى معاركه ضد الصليبيين ، كما استخدمها أمام تقدم الجيش الألمانى باتجاه أنطاكية ، عندما أمر بتدمير جبيل وجبلة وبيروت .

هذا وبعد انتهاء ريتشارد من إعادة ترميم تحصينات عكا ومنازلها ومبانيها الآخرى أقر حامية صليبية قوية بها ، ثم خرج منها فى يوم الثلاثاء 9 أغسطس 1191م / 16 رجب 587 هـ وعسكر خارجها وأخذ يعمل على إعداد الجيش الصليبي ، وعندما استكمل تجهيزاته توجه ناحية الساحل فى 22 أغسطس 1191م / 29 رجب 587هـ [72] ، وكانت خطة ريتشارد التحرك بالجيش ناحية البحر حيث قرر المسير باتجاه الساحل بجيشه البرى ليكون قريبا من أسطوله الذي يسير بالقرب منهم بالبحر، ولأنه أقصر الطرق لبلوغ أهدافه في الوصول إلى بيت المقدس ، والاستيلاء على المدن والحصون الساحلية القوية فى الطريق [73] .

وهنا يحدث خلط واضطراب كبير فيما تورده المصادر من روايات وأخبار عن كيفية تطبيق صلاح الدين لسياسة هدم المدن والحصون ، فنرى أحدهم يقرر أن صلاح الدين تقدم فهدم أسوار عدة مدن كبيرة وهذه المدن هى طبرية ، وصيدا وجبيل ونقل أهلهما إلى بيروت ، كما هدم مدن يافا [74] وأرسوف وقيسارية ، وكان هذا عند تقدم الألمان نحو أنطاكية

---

(72) ابن شداد : مصدر سابق ، ص 153. ، مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ص 59.

(73)Ambroise , op cit , p 229. ;
مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 52- 53 . ؛ مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 216-217. ؛ الاصفهانى : مصدر سابق ، ص 278 . ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 152.

(74) مدينة يافا : تدعى يافا أو يافي ، والأصل الكنعاني لها يافيYafi بمعنى " الجميل " ، أى البلد الجميل ، أطلق عليها اليهود اسم يافو ، وسميت يوبا فى العصر اليونانى ، فتحها المسلمون عام 16هـ / 37م ، وصفها الجغرافيون المسلمون بأنها بلد صغير وتعد خزانة فلسطين ، ولها ميناء ممتاز على البحر المتوسط ويحيط بها سور قوى ، وبها حصن منيع ، ولها باب من ناحية البحر وآخر من الجانب الشرقى ، وفى شرقها تنتشر الحدائق والبساتين التى يزرع بها الموالح والكروم والتين وغيرهم من الثمار والحشائش والمراعى الجيدة . وسيطر عليها الصليبيون فى الحملة الصليبية الأولى فى 17 يونيو 1099م / 25 رجب 492هـ . وهجرها المسلمون وسكنها الصليبيون ، وتشكلت منها ومدينة عسقلان كونتية تابعة لمملكة بيت المقدس الصليبية ، وكانت تقدم خمسة وعشرين فارسا للملكة الصليبية عند الحرب ومائة من المشاة ، واتسعت المدينة حتى بلغت 240 فدانا ، وصارت أحد الموانىء المهمة للصليبيين على البحر المتوسط ، وأسسوا بها عدة كنائس لاتينية .
راجع : ياقوت الحموي : مصدر سابق ، ج 5 ، ص 426.؛ المقدسي البشاري : مصدر سابق ، ص ، 158 ، 175.؛ إبراهيم سعيد فهيم محمود : يافا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي (1099- 1291م/ 492- 690هـ) ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 2019 ، ص 47 – 74. ؛ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين (فى الديار اليافية) ، الجزء الثانى القسم الرابع ، الطبعة الأولى ، مطبوعات رابطة الجامعيين بمحافظة الخليل ، 1972م ، ص 97. ؛ عز الدين غريبه : قصة مدينة يافا مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس : د. ت. ، ص 22- 23.
Prawer, J., Crusader Instituations, Oxford, 1980, p 473.; The Latin Kingdom of Jerusalem, European Colonialism in the Middle Ages, Israel, 1972, p 22. ; La

وليس بعد انتهاء حصار عكا عند تحرك ريتشارد بقواته نحو بيت المقدس [75]. وأضاف لهم مصدر آخر اللاذقية وجبلة وهدمت بيروت وجميع مدن الساحل [76]. ثم صرح أن صلاح الدين قام بهدم مدينة عسقلان بعد سقوط عكا مباشرة فى يد الصليبيين خوفا من وقوعها بأيديهم [77] . وتأتى مصادر أخرى ترجئ عملية هدم عسقلان إلى وقت متأخر من حملة ريتشارد [78] . وجاء في مصدر آخر أن عمليات هدم يافا وأرسوف وقيسارية حدثت أثناء تحرك جيش ريتشارد الصليبى نحو الجنوب بطريق الساحل وليس أثناء حصار عكا [79] .

ومن ثم يتضح من هذا وجود اختلاف وخلط كبير فى العديد من روايات المصادر حول موضوع سياسة هدم المدن والحصون التي اتبعها صلاح الدين في الحملة الصليبية ، فقد اختلفت المصادر في مراحلها وأوقاتها وتحديدها . لذلك لزاما على الباحث توخى الحذر ، وتحرى الدقة ، والعمل على تصنيف مصادر الموضوع ، والاعتماد على أي منهم قريبا للأحداث وكان شاهد عيان عليها ، ومدى أمانته فى نقلها بموضوعية ودون تحيز أو تملق ومداهنة ، ولا سيما أنها مصادر إسلامية ومسيحية تتحدث عن حلقة من حلقات الصراع الصليبي الإسلامي في تاريخ الحروب الصليبية فى الشرق .

وفى أغسطس 24 1191م / أول شعبان 587 هـ بدأت القوات الصليبية بالتحرك جنوبا وعبروا أحد الأنهار بعكا [80]، ووصلوا إلى حيفا[81] فى اليوم التالى 25 أغسطس 1191م / 2 شعبان 587 هـ [82] ، وهنا يقرر أحد المصادر الصليبية أن الجيش الصليبى أقام فى موضع بين المدينة والبحر دون أن يذكر صراحة قيام صلاح الدين بتدمير

Monte, J.L., Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, 1100- 1299 York, 1970, pp 149, 158.

(75) الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 210 .
(76) مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 174.
(77) مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 212.
(78) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 96 . ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 164 – 165 . ؛ الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 288 – 289.
(79) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 68- 96 ، 98 .
(80) الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 279 . ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 153.
81) حيفا: مدينة فلسطينية تقع على ساحل البحر المتوسط ويحدها غربا جبل الكرمل ، وكانت تسمى مدينة الكرمل ، سكنها اليهود وبها كهف النبي إيليا ، وهيكل للعبادة ، ويوجد بها دير مسيحى نسبة له ، وسكنها المسيحيون والمسلمون ، نشطت بها صناعة السفن ومارست نشاطا تجاريا ملحوظا ، استولى عليها الصليبيون عام 1101 م / 494 هـ .
ياقوت الحموي : مصدر سابق ، ص 332 . ؛ بنيامين التطيلى : مصدر سابق، ص 240.
(82) ابن شداد : مصدر سابق ، ص 154 . ؛ الاصفهانى : مصدر سابق ، ص 281 .

المدينة [83] . غير أن ياقوت الحموى أكد على تدمير صلاح الدين لحيفا دون أن يسهب فى روايته [84] . يلاحظ هنا أن المصدر الصليبى أورد إشارة ضمنية تدل على أنهم حين وصلوا حيفا وجدوها مخربة ، أى أنها من المدن التى تم تدميرها على يد قوات صلاح الدين على الرغم أنه لم يأت ذكرها صراحة فى المصادر السابقة التى ذكرت أسماء المدن التى خضعت للتخريب والتدمير، لكن وقوعها على الطريق الساحلى الذى يسلكه الصليبيون إلى بيت المقدس يجعلها إحدى المدن التى وقع عليها الهدم والتخريب . ويكفى لياقوت ذكرها ضمن المدن المهدمة ، هذا لأنه جغرافى ويتابع حركة التاريخ ، ولأن المصادر الصليبية المعاصرة لم تذكره صراحة بل ذكرته ضمنيا .

وعند تتابع الأحداث فى الروايات التاريخية المعاصرة ، نرى خضوع مدن وبلدات أخرى للتدمير على يد القوات الإسلامية ، مما لم يذكر أسماؤهم صراحة فى المصادر ، ومنه هذه الرواية التى صرحت أن الجيش الصليبى مكث فى معسكره بجوار حيفا والبحر يومها ، وفى اليوم الثالى وهو الثلاثاء الموافق 27 أغسطس 1191م / 4 شعبان 587 هـ ، تقدم ريتشارد ببعض قواته حتى بلغ بلدة تدعى كفر ناعوم [85]، ورآها مهدمة وقد سويت بالأرض ، ولا تصلح للإقامة أو الاستراحة بها فغادرها في اليوم نفسه ، ثم تحركوا نحو قيسارية ، ووصلوا إلى ناحية دوسترى Destroit وبلدة عثليت المجاورة لها ، ونصبوا معسكرهم في هذه البقعة وقضوا ليلتهم واليوم التالى هناك . [86]

كان يشغل هذا الموقع الذى عسكر به الصليبيون قلعة دوسترى وتعد إحدى القلاع المنيعة التى شيدها الداوية على ساحل البحر في شمال إقطاعية قيسارية [87]. ونظرا لموقعها هذا يلاحظ أن مهمتها كانت حماية القرى والبلدات والسهول المحيطة فى هذه الجهة ، وحتى تكون إحدى النقاط الحصينة التى يناط بها حماية الطريق الساحلى المؤدى إلى مدينة قيسارية ومنها إلى مملكة بيت المقدس الصليبية . ونلاحظ هنا أن المؤرخ

---

(83) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 63.
(84) ياقوت الحموي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 332.
(85) كفر ناحوم : وتدعى كفر ناعوم مدينة قديمة بناها الفينيقيون في القرن الرابع الرابع قبل الميلاد ، جددها هيرودس ملك فلسطين عام 10 ق. م. كانت مقر الحكومة الرومانية في فلسطين منذ القرن الأول الميلادي ، وأطلق عليها اسم روما الصغرى، فتحها المسلمون عام 15هـ / 636م ، استولى عليها الصليبيون في الحملة الصليبية الأولى ، وأعادها صلاح الدين بعد موقعة حطين عام 1187م/ 583هـ .
بنيامين التطيلى : مصدر سابق ، ص 241 .
(86) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 65 .
(87) مولر: مرجع سابق ، ص 93.

الصليبي المجهول لم يتحدث عنها ، مما يدل على أنها تعرضت للتدمير سابقا على يد القوات الإسلامية ، وهذا يدل على أن سياسة صلاح الدين فى التدمير لم تكن خاصة بالمدن فقط ، بل شملت القلاع والبلدات والقرى أيضا ، مهما كان حجمها صغيرا ، وهذا لكى يشتد فى مضايقة الجيش الصليبى ويمنعه من تحصيل الزاد والماء أو من الحصول على موضع يستريح به .

من الدلائل على تحطيم صلاح الدين لقلعة دوسترى قيام جوتييه أفنييه Gautier of Avene (1213 – 1229م / 620 – 626هـ) سيد إقطاعية قيسارية ومعه الفرسان الداوية والتيوتون ببناء قلعة عثليت ، وتعرف بقلعة الحجاج بالقرب من موقع قلعة دوسترى التى هدمها صلاح الدين ، وعلى مبعدة 2 كيلو متر جنوبها ، وتم تشييدها فوق نتوء صخرى يمتد داخل البحر ، لتتولى مهام الدفاع عن البلدات المحيطة بها وعن مدينة قيسارية . [88]

والواقع أن الصليبيين تابعوا مسيرتهم فى صباح يوم 29 أغسطس 1191م / 6 شعبان 587 هـ ، حتى وصلوا إلى موقع يدعى الملاحة ، وفى كل موقع من هذه المواقع كانوا يعقدون معسكرهم فى العراء لأن صلاح الدين قام بتخريب المدن والبلدات فى طريقهم ، وكانوا يتعرضون لهجوم من الحيوانات والزواحف والحشرات والهوام ، وكانت لدغاتها سامة وعرضت حياتهم للخطر [89] . وفى 30 أغسطس 1191م / 7 شعبان 587 هـ وصلوا إلى مدينة قيسارية فلسطين [90] . ومن أساليب تحصينها أنها كانت محاطة بسور له بوابة حديدية [91]، وكان بداخلها حصن منيع في الماضي [92]. ويبدو أنه كان حصنا عتيقا واندثر بمرور الزمن ، لأنه عندما هدم رجال صلاح الدين للمدينة لم يكن بداخلها حصون باقية إلا وكان أمر بهدمها ، مع سورها وأبراجها . [93]

---

(88) Oliver of Padenborn, the Capture of Damietta, trans. By John Gavian, Philadelphia, 1948, p 17.; Ernoul, Chronique, trans.by Rohricht, Genve, 1882, p 293.;
راجع : حسن عبد الوهاب حسين : تاريخ قيسارية الشام فى العصر الإسلامى ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1990، ص 177.

(89) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 65 - 66.

(90) ابن شداد : مصدر سابق ، ص 156 . ؛ مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 68.
Timothy Venning, op cit, p 209.

(91) ناصر خسرو : مصدر سابق ، ص 65 .

(92) المقدسي البشاري : مصدر سابق، ص172.

(93) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 68. ؛ الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 210 . ؛ مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 174.

ومما يؤكد على عدم وجود قلاع أو حصون داخل مدينة قيسارية حتى وقت وصول ريتشارد إليها ، أن قلعتها التى أطلق عليها اسم " الخضراء" جرى بناؤها عام 1218 م / 614هـ ، واهتم ببنائها الملك الصليبى جان دي برين ورادلف بطريرك بيت المقدس وليودلف السادس دوق النمسا ، وكانت تقع في جنوب المدينة وتلاصق الرصيف الجنوبي لمينائها وكانت عبارة عن برج مكون من 3 طوابق ، ويقع مدخله فى ناحية الشمال الشرقى ، ويوجد أسفلها مجموعة من السراديب تستخدم للهروب عند محاصرة القلعة ، وأحاطت بخندق عميق يفصلها عن المدينة ، وبنى حولها من جميع الجهات سورا قويا ، وأقام الصليبيون عددا من الأبراج حولها ، وكانت أشبه بالجزيرة المحصنة من كل جانب . [94]

ويذكر أحد المصادر أنه عند اقتراب الصليبيين من المدينة كان المسلمون يقومون بتخريب وهدم سور المدينة وأبراجها ، وعندما علموا بقرب قدوم الصليبيين فروا هاربين ، ولما وصل الصليبيون قبالها لم يجدوا موضعا لهم يقيمون فيه معسكرهم مما جعلهم يقيموه خارجها بالقرب من النهر الذي يعرف بنهر الزرقاء أو نهر التمساح [95]. واتفقت المصادر الآخرى مع هذا المصدر على قيام صلاح الدين بتخريب وهدم سور قيسارية [96]. ويتضح من هذه الروايات التى أوردتها المصادر بشأن تخريب قيسارية أن الهدم طال سورها وأبراجها دون الإشارة إلى أية تحصينات أخرى داخلها . كما يتضح منه أنه جرى تدمير تحصينات مدن وحصون الساحل الشامي الأوسط في مرحلة تالية من تدمير مثيلاتها فى شمال الساحل مثل اللاذقية وجبيل وجبلة ، وهى المرحلة التى بدأت بعد سيطرة الصليبيين على مدينة عكا.

وعند قيسارية قامت معركة كبيرة فى 2 سبتمبر 1191م / 10 شعبان 587 هـ ، قتل فيها عدد من جنود الصليبيين وبعض الجنود المسلمين [97] . وعقب المعركة أرسل ريتشارد إلى الملك العادل يعرض عليه المفاوضات وشرط عودة كل البلاد والحصون التي استعادها صلاح الدين بعد انتصاره في حطين إلى الصليبيين ، لكن العادل رفض هذه الشرط ، ولم تكتمل المفاوضات فى هذا الوقت . [98]

---

(94) ابن عبد الظاهر ، محي الدين بن عبد الظاهر(620 – 692هـ/ 1223- 1292م) : الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، 1976، ص 230، 231 .
وراجع : حسن عبد الوهاب حسين : مرجع سابق ، ص 175- 176 .
(95) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 68.
(96) الأصفهانى : مصدر سابق، ص 210 . ؛ مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 174.
(97) ابن شداد : مصدر سابق ، ص 157 - 158. ؛ الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 282- 283 .
(98) الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 284. ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص160.

ثم تحرك السلطان حتى وصل بالقرب من أرسوف فى اليوم التالى من معركة قيسارية وعسكر فى بقعة رحبة من الأرض تصلح للاشتباك فى المعارك الحربية ، وتجهز لملاقاة الصليبيين بها [99]. وبعد وصول السلطان إلى أرسوف بيومين وصل الملك ريتشارد وقواته إلى مشارفها [100] ، وجاء فى بعض المصادر أخبار عن هدم المدينة بيد المسلمين قبل قدوم الصليبيين إليها لكن المصادر أختلفت فى زمن هدمها ، فنرى أحدهم يقرر أن صلاح الدين قام بهدم أسوار عدة مدن كبيرة منها أرسوف ، وكان ذلك عند تقدم الألمان نحو أنطاكية وأثناء حصار عكا وليس بعدها [101]. وجاء في مصدر آخر أن عملية هدمها حدثت بعد سقوط عكا فى يد الصليبيين وأثناء تحرك جيش ريتشارد الصليبى نحو الجنوب بطريق الساحل وليس أثناء حصار عكا [102]. وبالرغم من هذا الخلاف فى التوقيت إلا أن المصادر اتفقت فى موضوع هدمها تطبيقا لسياسة صلاح الدين فى هذا الوقت . ويرجح الباحث أن عملية الهدم حدثت بعد سقوط عكا حيث خشى صلاح الدين من سقوط باقى مدن الساحل الواقعة جنوب عكا وهو مايتفق مع سير الأحداث.

وفى يوم السبت 7 سبتمبر 1191 م / 15 شعبان هـ حدثت معركة كبيرة في أرسوف بين الجيشين الصليبى والإسلامى انتهت بهزيمة المسلمين . [103] غير أن الأصفهاني يذكر أن القوات الإسلامية ما لبثت أن عادت وكرت على الصليبيين ، ونجحت

---

(99) ابن شداد : مصدر سابق ، ص 159 . ؛ الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 284.
(100) مجهول الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 72. ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 161 . ؛ الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 285.
(101) الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 210 .؛ الزيل 174 .
(102) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 68- 96 ، 98 .
(103) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 90. ؛ ابن شداد : مصدر سابق، ص 162. ؛ ابن الاثير : مصدر سابق ، ص 1822 .
للمزيد من التفاصيل حول هذه المعركة راجع :
Ambroise ,op cit , p 248- 268 . ;

مجهول الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2، ص 72 - 95. ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 161 - 162. ؛ الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 285. ؛ ريتشارد كاهن الثالثوث المقدس فى لندن : شهادة شاهد عيان على معركة أرسوف ، بكتاب مجهول : تواريخ أسرة بلانتغنت ، ترجمة وتحقيق سهيل ذكار، الموسوعة الشامية للحروب الصليبية ، ج 30 ، دمشق ، 1998 ، ص 241 – 244 . ؛ مجهول : ذيل وليم الصوري ، وراجع : محمد مؤنس أحمد عوض : فى الصراع الإسلامى الصليبى (معركة أرسوف 1191م / 587 هـ) ، القاهرة : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 1997 ، ص 9 – 48.

فى كسرهم وقتل العديد من عساكرهم [104]. ولكن فى النهاية كان النصر يميل إلى كفة الصليبيين عن المسلمين . [105]

بعد هذه الهزيمة أصاب صلاح الدين الحزن الشديد ، وعقد اجتماع لأمرائه وراح يذكرهم بالانتصارات السابقة التي حققها أسلافهم ، ثم التقى بأخيه الملك العادل وصرح أمامه أنه لا يأمن شر الصليبيين ، وقد باتوا أكثر خطورة عما قبل ، وصار قائدهم الملك ريتشارد فى بأس عظيم ، وكلف السلطان أخاه العادل بالقيام بمهمة هدم مدن الساحل جنوب فلسطين وهي عسقلان وغزة [106] وبيت جبرين[107] وتل الصافية ويازور[108] وبيت داجان واللد والرملة والنطرون وقلعة أرنولد وكوكب والمجدل وتبنين [109] وأى مدينة أخرى عدا الكرك والقدس . [110]

---

(104) الاصفهانى : مصدر سابق ، ص 285 - 286.

(105) محمد مؤنس أحمد عوض : مرجع سابق ، ص 30.

(106) غزة : مدينة كنعانية قديمة تعود للقرن الخامس عشر قبل الميلاد ، تقع جنوب فلسطين ولها ساحل بحري طويل على البحر المتوسط ، وهي تسمية كنعانية تعني القوة والمتانة والعزة والرفعة ، تناوب السيطرة عليها قوى كثيرة أهمها الفرس واليونان والرومان ، فتحها المسلمون عام 14هـ / 635م ، سميت غزة هاشم نسبة إلى هاشم بن عبد مناف ، وهي مسقط رأس الإمام الشافعي ، استولى عليها الصليبيون عام 1100م / 493 هـ ، وبنى بها الملك بلدوين الثالث قلعة وجدد أسوارها ، وسلم القلعة للداوية عام 1149 م / 543هـ . استعادها صلاح الدين بعد موقعة حطين عام 1187م / 583هـ.

راجع : Jaques De Vitry, op cit , p 14.;

(107) بيت جبرين : اسمها أرامي ويعنى بيت الجبار ، سكانها الكنعانيون ، وهي مدينة فلسطينية تقع فى الجنوب الفلسطينى، وتقع عند نهاية السفوح الغربية لجبال الخليل ، وعلى مبعدة 26 كم شمال الخليل ، وعندها تتقاطع الطرق المؤدية إلى الرملة وبيت المقدس وغزة ، وتبعد عن مدينة عسقلان من ناحية الشرق بما يقدر 12كم ، ويفصلها عن عسقلان وادى يطلقون عليه اسم وادى النملة نسبة إلى النملة التي خاطبت النبى سليمان بن داود عليهما السلام. وفى عام 200م صارت مستعمرة رومانية على يد الإمبراطور سيبتميوس سيفيريوس ، وسميت اليوثيروبوليس ، فتحها المسلمين فى عام 634م / 14هـ ، استولى عليها الصليبيون في الحملة الصليبية الأولى وبنوا بها قلعة في عام 1137 م / 531 هـ ، وكانت أحدى قرى إقطاعية الخليل الصليبية . يذكر ياقوت الحموى أنها كانت تضم حصنا قويا شيده الصليبيون بها للدفاع عن بيت المقدس وعسقلان ، وخربها صلاح الدين قبيل استرداده مدينة القدس .

راجع : ياقوت الحموي : مصدر سابق ، ج 1 ، ص 519 .؛ بنيامين التطيلي **:** مصدر سابق ، ص 258.
Benvenisti, M., The Cruseders in the Holy Land , Jerusalem, 1970, p 186.

(108) قرية يازور : هى إحدى قرى بلدة بيت دجن الواقعة في إقطاعية الرملة واللد جنوب مدينة يافا ، في موقع يتوسط مدينتي يافا والرملة ، وكانت قرية يازور من أهم قراها ، وقام الصليبيون ببناء قلعتي يازور بها ، كما شيدوا قلعة السهول بالقرب منها .

مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2، ص 107. ؛ شامخ زكريا علاونه وسعيد عبد الله البيشاوي : مرجع سابق ، ص 36- 37.

(109) حصن تبنين : يقع مقابل مدينة صور ، وتبعد عنها من ناحية الغرب بمسافة تقدر ثمانية عشر كم ، وجنوب شرق بانياس بنحو ثلاثين كم ، بناه الأمير الصليبي هيو دى سانت أومر ، أمير إقليم طبرية والجليل بين عامى 1103 إلى 1107 م ، انتشر حوله الحقول والبساتين التى تثمر أجود أنواع الفاكهة من

يستنتج من هذا أن صلاح الدين شعر بمرارة كبيرة عند هزيمة قواته فى معركة أرسوف ، وقد تبين منها تفوق الجيش الصليبى وقائده الملك ريتشارد على الجيش الصلاحي ، وظهر هذا التفوق فى عدة جوانب أهمها المهارات والخبرات العسكرية الكبيرة للجيش الصليبي ومستوى التسليح ، فكانت أسلحة الصليبيين أقوى من أسلحة المسلمين ، كذلك ظهرت قدرتهم على التخطيط والتنظيم الجيد للجيش فى وقت الحروب . كما يتضح منه أن صلاح الدين بدأ مرحلة أخرى من مراحل سياسته الحربية فى هدم المدن والحصون ، وهى التى تشمل ما يقع منهم على الساحل الجنوبي لبلاد الشام الواقعة في جنوب فلسطين . وقد أراد الحفاظ على القلاع الداخلية مثل الكرك ؛ لأنها قلعة غاية فى التحصين وتشرف على طريق القوافل والحجاج بين مصر والأردن وبلاد الشام ، وربما يحتاجها قريبا فى حروبه ضد الصليبيين . أما مدينة بيت المقدس فهى أهم المدن وأقدسها في فلسطين وبلاد الشام ، وكانت محصنة إلى درجة كبيرة وبها حامية عسكرية كثيرة العدد . ويصعب أخذها صلحا أو عنوة ، وتركها صلاح الدين دون تخريب حتى يكون أمامها المعركة الفاصلة بينه وبين الصليبيين .

بعدها خرج الجيش الصليبي من أرسوف باتجاه يافا التي وصل أمامها فى 9 سبتمبر 1191 م / 17 شعبان 587 هـ [111] . وكان من مظاهر تحصين يافا في العصر الصليبي الأسوار المحيطة بها وكانت قوية وتحيط بها من جميع الجهات ومن ناحية البحر [112] ، ويتخلل السور بوابتان أحدهما غربية على جانبه البحرى وتدعى باب البحر ،

الكروم والموالح ، ويزيد به المراعى الصالحة لرعي الماشية والأغنام ، أخذه الاسبتارية عام 1157م . وفى 12 جمادى الأولى 583 هـ / 20 يوليو 1187 م قام الملك المظفر عمر بن شاهنشاه تقى الدين ابن أخي صلاح الدين بحصاره حتى طلب أهله الأمان مقابل تسليم الحصن في 18 جمادى الأولى 583 هـ / 26 يوليو 1187م ، فأجابهم وأخرجهم منه إلى صور ، وتم اطلاق جماعة من أسرى المسلمين ، ومنحه صلاح= =الدين للمملوك سنقر الدورى الذى أعاد ترميمه وتنظيمه وأصلح سوره وعمق خندقه.
راجع: Jaques de Vitry, op cit, p 18- 19.;

بورشارد : وصف الأراضي المقدسة ، ترجمة وتعليق سعيد عبد الله البيشاوي ، دار الشروق ، 1995، ص 59.

(110) Ambroise, op cit . p 272.;
مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2، ص 96 .

(111) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2، ص 98 . ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 163. يختلف أحد المؤرخين الأجانب على تاريخ وصول ريتشارد إلى يافا ويجعله 8 سبتمبر وليس 9 سبتمبر . وهذا يخالف ما أتت به المصادر.
Timothy Venning, op cit, p 209.

(112) Daniel The Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in The Holy Land , trans. By Wilson, C.W., in , P.P.T.S.,vol., Iv, London, 1888, pp 53-

والثانية شرقية تقابل اليابس [113] ، ويوجد أعلى بابى المدينة وزوايا سورها أبراج حصينة [114] ، ووجد بها قلعة منيعة ناحية البحر نجح الصليبيون في الاستيلاء عليها عندما أخضعوا المدينة [115] . هذه هى تحصينات المدينة منذ زمن الفاطميين وفي العصر الصليبي قبل هدم صلاح الدين لها . وقد صرح أحد المصادر العربية بأن صلاح الدين أمر بهدم المدينة ، ومعها مدنا أخرى هى طبرية وصيدا وجبيل وأرسوف وقيسارية ، وكان هذا عند تقدم الألمان نحو أنطاكية وأثناء حصار الصليبيين لمدينة عكا وليس بعد انتهاء حصارها [116]. كما وجدت إشارة عند ابن شداد تفيد بأن الصليبيين عندما وصلوا يافا أقاموا عدة أيام فى عمارتها وشحنها بالرجال والسلاح[117] . أما المصادر الصليبية فتحدثت أحدها صراحة عن تدميرها ، وذكر أن أمر تدميرها لم يكن منذ فترة زمنية بعيدة ، بل حدث قبيل وصول الصليبين لها بفترة وجيزة . كما أشارت إلى أن الجيش الصليبى لم يستطع دخولها بل أقام فى بقعة خارجها على يسارها يكثر بها بساتين عامرة بالفاكهة مثل العنب والتين والرمان واللوز وأشجار الزيتون [118]. وهناك مصدر صليبى آخر أشار إلى هدمها ؛ لأنها إحدى مدن الساحل الشامى التى أمر صلاح الدين بهدمها [119] . يتضح من هذا أن الروايات التاريخية السابقة اتفقت على قيام صلاح الدين بهم المدينة ، وأن الأصفهانى أخطأ فى تحديد وقت هدمها فجعله قبل سقوط عكا وليس بعده ، وصدق ابن شداد في إشارته عن هدم المسلمين للمدينة لكنه لم يذكر تحديدا لزمن عملية الهدم ، أما المؤرخ الصليبي المجهول فقد كان دقيقا فى روايته حيث إنه حدد وقت الهدم قبيل وصول الجيش الصليبى للمدينة وليس قبل سقوط عكا .

هنا انتظر الملك قليلا من الوقت حتى اجتمع الجيش كله ووصل الأسطول الحربى ، وعقد مجلس يضم القادة العسكريين وطرح عليهم الإختيار بين أمرين وهما : إعادة بناء يافا

54.;Theodrichs, Description of the Holy Places, trans. by Aubrey Stewart, in, P.P. T.S., London, 1897, p 55.

ذيل وليم الصورى ، ص 174 .

(113) المقدسي البشاري : مصدر سابق ، ص 174 .

(114) Roger of Wendover, Flowers of History , 2 vols, trans.by Giles, J.A., London, 1848, vol.I , p 427.;

وليم الصوري : مصدر سابق ، ج 2 ، ص175 .

(115) وليم الصورى : مصدر سابق ، ج 2 ، ص ، ص 104 ، 175.

(116) الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 210 .

(117) ابن شداد : مرجع سابق ، ص 164.

(118) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2، ص 98 .

(119) مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 174 .

أو الاتجاه مباشرة إلى عسقلان والهجوم على المسلمين حتى ينقذوها من التخريب والتدمير ، وكان الملك والإنجليز يرون ضرورة الإسراع بالسير نحو عسقلان وإنقاذها من الهدم والتخريب والاستيلاء عليها ، ومنها يتجهون فى مهاجمة بيت المقدس رأسا ، أما القادة الفرنسيون فقد عارضوا الملك والإنجليز ورأوا ضرورة اعمار يافا والاتجاه منها إلى مهاجمة بيت المقدس مباشرة دون الحاجة للتوجه إلى عسقلان ، وأن الطريق بين يافا وبيت المقدس أقصر منه إلى عسقلان ، ولما كان عدد القادة الفرنسيين فى الاجتماع أكثر من عدد القادة الإنجليز ، فقد رجح رأيهم ، وانتهى المجلس بأخذ الرأى بإعادة تعمير يافا . (120)

يلاحظ أن ابن شداد قد أوجز فى روايته عن تعمير الصليبيين لمدينة يافا وأشار إليها بشكل عام ببعض كلمات قليلة نجد مصدرا صليبيا يورد بعض معلومات عن هذا الموضوع فذكر اهتمامهم بترميم المدينة ، وتوفير عدد كبير من الرجال الصليبيين للقيام بمهام الترميم والبناء ، وتحدث عن قيامهم بحفر خندق حولها و رمموا قلعتها وأبراجها ، وأعادوا ترميم جزء من مبانيها ، وقاموا بتشييد سورها وبناء أبراج عليه وبوابات له ، وقضوا وقتا طويلا فى بنائه ، ودخلها الصليبيون ومكثوا بها نحو شهرين كاملين حيث استراحوا من عناء الطريق و ركنوا إلى الكسل والتراخي و انكبوا على اللهو والشراب . (121)

وعقب وصول ريتشارد إلى يافا بيوم واحد وصل صلاح الدين إلى مدينة الرملة ، وقام بجمع قادته وأخيه الملك العادل وتشاوروا فى أمر عسقلان ، فاتفقوا على هدمها خوفا من محاصرة الصليبيين لها ، وأن يفعلوا بها مثل ما فعلوا بعكا ، كما إنهم علموا أنه يلزمها عددا كبيرا من القوات لحفظها هى ومدينة بيت المقدس ، فكلاهما يلزمه ما لا يقل عن عشرين ألف جندى للحفاظ عليه ، وكثيرا من الأسلحة والزخائر وآلات الحرب ، والمؤن والأموال ، ويعجز المسلمون على توفير كل هذا للبلدين فى وقت واحد ، وإن استطاع الصليبيون إسقاط عسقلان سوف ينتج عنه خطورة كبيرة لبيت المقدس وللوجود الإسلامى فى بلاد الشام ومصر ، وتقرر الأمر بأن يمضى الملك العادل وبرفقته بعض الرجال إلى القرب من يافا حيث يقيم ريتشارد وقواته ليعرف تحركاتهم ، وعلى الجانب الآخر تحرك السلطان صلاح الدين مع القوات متجها إلى عسقلان .(122)

---

(120) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2، ص 99- 100 .
(121) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2، ص 101 ، 106 .
(122) ابن شداد : مصدر سابق ، ص 165.

خرج صلاح الدين من الرملة وبلغ مدينة يبنا [123] التى وصلها فى اليوم التالى ، ثم واصل السير إلى عسقلان التى بلغها فى عصر اليوم نفسه ، وفى صبيحة اليوم التالى الخميس 12 سبتمبر 1191م / 20 شعبان 578هـ قام بتهجير سكانها المسلمين ، وبيعت نفائسها بأقل الأسعار ، وهجرت دورها ، وأخذ فى هدمها ونقض سورها وهدم مبانيها وقلاعها ، وأحرقها بالنار ، وسواها بالأرض ، ولم يترك بها حجر على حجر ، حتى أن المؤرخ عماد الأصفهانى بكى على أطلالها عندما استوحشه عمارها [124] . ويضيف ابن شداد أن السلطان قام بتقسيم رجاله إلى جماعات وعهد لكل جماعة منهم تدمير جزء من المدينة وأسوارها وتحصيناتها ، وأخذ يطوف عليهم أثناء الهدم ويشجعهم على سرعة الانتهاء منه لئلا يدركهم الصليبيون . وأن عرض سور المدينة كان يبلغ ما بين أربعة إلى خمسة أمتار ، وحرق فيه قلعة حصينة كانت للاسبتارية وتشرف على البحر ، بعد أن اشتعلت النار بها مدة يومين حتى ضعفت جوانبها واستطاع الرجال هدمها ، وظلوا حتى نهاية شهر شعبان يباشرون أعمالهم في هدم المدينة . [125]

بعدها رحل السلطان من عسقلان ووصل مدينة يبنا فى يوم الأثنين 23 سبتمبر 1191 م / 2 رمضان 587 هـ ، وقضى بها ليلته ثم رحل فى اليوم التالى إلى الرملة ومنها إلى مدينة اللد وكانت مدينة عامرة وبها بيعة كبيرة ، وأمر سكان المدينتين بالخروج منها إلى غيرها من الأماكن العامرة بما يستطيعون حمله من أموالهم ومنقولاتهم وغلاتهم ، وما زاد من هذه المحاصيل والبضائع ذهبت للجيش الإسلامي ، وأصدر أوامره بتخريبهما وهدم تحصيناتهما ، ووزع عليهما الحجارين والنقابين ، وبدأ الهدم فى اليوم نفسه من وصوله إليها ، وظلوا فى عملهم هذا ويشرف عليهم الملك العادل أخي صلاح الدين [126] . ويقرر مصدر صليبى أن رجال صلاح الدين أمعنوا فى تخريب الرملة حتى لم يتركوا بها

---

(123) يبنا : الأصل فيها يبنى بضم الياء وسكون الباء ثم ألف مكسورة ، واسمها اللاتينى ابلينIblin ، ولها أسماء أخرى مثل أمانيا Jaminia و Amania ، وتقع فى جنوب يافا ، وعلى مبعدة عشرة كم منها ، وهى قريبة من مدينة الرملة . بها قبر صحابي جليل هو أبى هريرة ، وبعضهم يقول قبر عبد الله بن أبى السرح . صارت من ممتلكات المملكة الصليبية ببيت المقدس .
راجع : Jaques de Vitry, op cit, p 26.

ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج 5 ، ص 428.

(124) الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 288- 289 . ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 164 - 165 . ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1822.

(125) ابن شداد : مصدر سابق ، ص 165- 166.

(126) الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 289 . ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 167- 168. ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1822.

حجرا على حجر وقاموا بتسويتها بالأرض ، هدموا قلاعهما وأسوارهما وأبراجهما ومنازلهما ، وأشار إلى تخريب مدينة اللد .[127]

وفى اليوم التالى وصل صلاح الدين إلى بيت المقدس ، وأخذ يباشر أعمال عمارته وترميمه وتقوية أسواره وأبراجه وأبوابه ، ويزودها بالرجال والعتاد والأسلحة والمؤن والبضائع تحسبا لوقوعها تحت حصار الصليبيين ، ورتب أحوالها ، وخرج منها واتجه إلى بيت نوبة [128]التى وصلها فى يوم الأحد 29 سبتمبر 1191م / 8 رمضان ، وأمر بهدم قلعتها المنيعة التي تسمى قلعة أرنولد [129]. كان لهذه القلعة أهمية كبيرة لأنها تقع عند سفح أحد المرتفعات الجبلية وتشرف من ناحية الشمال على سهل فسيح يواجه مدينة اللد ومنها إلى ساحل البحر ، ومن ناحية الجنوب على مدينة بيت المقدس ، وقام بتشييدها الملك و البطريرك ونبلاء المملكة الصليبية في عهد الملك الصليبى فولك دى انجوا Fulk of Anjou (1130 – 1143م) عام 1132 م ، ليوفر الحماية للحجاج الصليبيين فى طريقهم إلى القدس ، حيث كان عليهم العبور فى مضايق وشعاب جبلية وعرة ، وكثيرا ما تعرضوا لأخطار اللصوص وقطاع الطرق ، ولهجمات من رجال مدينة عسقلان [130]. ويتضح من هذا أن هذه القلعة تحتل موقعا جغرافيا متميزا وله أهمية كبيرة لمدينة القدس ، وكان صلاح الدين يخشى وقوعها فى يد ريتشارد ، ويهدد المدينة المقدسة منها فأمر بهدمها . ومن بعدها توجه صلاح الدين إلى النطرون ووصلها يوم الجمعة أخر الأسبوع ، وكان بها حصن من أشد الحصون فى قوته ومناعته ، وأمر بهدمه . [131]

---

(127) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2، ص 116- 117.

(128) بيت نوبة ، بلدة تقع جنوب فلسطين ، أشار لها ياقوت الحموى باسم " بيت نوبا " بضم النون وسكون الواو وباء موحدة ، وعرفت فى العصر الرومانى باسم بيت عنابة ، وذكرها جيروم باسم نوبا ، وسميت بيت نوبى فى العصر الصليبي ، وتتوسط المسافة بين اللد وبيت المقدس ، وتبعد عن اللد والرملة من ناحية الشرق نحو 25 كم ، وتبعد عن ساحل البحر المتوسط بمسافة 35 كم ، استولى عليها الصليبيون في حملتهم الأولى على الشرق ، وفي عام 1133 م قام الملك الصليبي لبيت المقدس فولك دي أنجو ببناء قلعة بها عرفت باسم قلعة أرنولد ، استردها صلاح الدين من الصليبيين بعد معركة حطين .
راجع : ياقوت الحموي : مصدر سابق ، ج2، ص 523. ؛ وليم الصوري : مصدر سابق ، ج3 ، ص 102.

(129)Ambroise, op cit . p 272.;

الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 289 . ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 167.

(130) وليم الصوري : مصدر سابق ، ج3 ، ص 102.

(131) Ambroise, op cit . p 272.;

الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 289 . ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 168.

وفى يوم الأثنين 7 شوال / 28 أكتوبر بلغ صلاح الدين أن الإفرنج يعدون أنفسهم للتحرك من يافا لمواصلة الزحف جنوبا نحو بيت المقدس ، ولما علم صلاح الدين تحرك بقواته حتى وصل قبالة مدينة الرملة وأقام معسكره هناك [132]. وعقب هذا بيومين خرج ريتشارد مع بعض فرسانه يقوم بمهمة استطلاعية لكشف تحركات المسلمين . وفى اليوم التالى من هذه الجولة الكشفية تحرك الجيش الصليبى حتى وصل قرب قرية يازور التى يقع بها قلعة يازور Castle Moen وبقربها قلعة السهول Castle Plains ، وعسكر هناك بين الموضعين ، بينما كان الجيش الإسلامى يقيم فى الرملة ، وعمل صلاح الدين على إرسال جماعات من جنوده لمناوشتهم هناك ، وجرت معركة قتل فيها بعض من المسلمين ومثلهم من الصليبيين [133]. ووجد ريتشارد قلعة يازور وما يجاورها من مبان قد خضعت للتخريب والهدم من قبل رجال صلاح الدين ، فقضى خمسة عشر يوما قبالها يقوم رجاله بإعادة إعمارها وتحصينها [134] ، كما قام رجال ريتشارد بترميم القلعة الثانية وهى قلعة السهول ، وقام بشحن القلعتين بالرجال والمؤن والأسلحة [135] . يتضح من اهتمام ريتشارد بإعادة تعمير قلعة يازور مدى أهمية هذه القلعة لأنها تقع فى طريق جغرافي يتوسط المسافة بين يافا والرملة ، وتعد إحدى النقاط القوية التي توفر الحماية لمدينة بيت المقدس . كما إنه أراد تأمين هذا الطريق للوصول سالما إلى الرملة ومنها إلى بيت المقدس .

وفى يوم الأربعاء 16 شوال 587هـ / 6 نوفمبر 1191م ، خرج بعض أمراء وقادة الصليبيين إلى السهول القريبة للترويح عن أنفسهم وتوفير علف لخيولهم ، وكانوا فى حراسة بعض الفرسان الداوية ، وتفاجئوا بأنهم وقعوا في كمين نصبوه لهم الفرسان المسلمون ، وجرت معركة أخرى بين الجانبين أطلق عليها وقعة الكمين ، قتل فيها عدد

---

(132) ابن شداد : مصدر سابق ، ص 174- 175. ؛ الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 292 .
(133) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2، ص 106- 107. ؛ الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 292 . ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 174 – 175.
بينما يقرر المؤرخ الصليبي المجهول صاحب مصدر الحرب الصليبية الثالثة صلاح الدين وريتشارد فى روايته أن الصليبيين وصلوا إلى يازور فى يوم الخميس الموافق 31 أكتوبر 1191 م / 10 شوال 587 هـ ، تعارضه المصادر الإسلامية عند ابن شداد والعماد الأصفهانى فى روايتهما ويجعلا وصوله إليها فى يوم الثلاثاء 29 أكتوبر 1191 م / 8 شوال 587 هـ .
راجع : مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2، ص 107. ؛ الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 292 . ؛ ابن شداد: مصدر سابق ، ص 175.
(134) Ambroise, op cit . p 301.;
مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2، ص 107.
(135) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2، ص 113 ، 116.

آخر من الصليبيين والمسلمين ، وأسر البعض ، وجرح البعض الآخر . [136] ويصرح ابن شداد فى روايته أن المسلمين حققوا نصرا كبيرا فى هذه الواقعة وأسروا عددا ليس بقليل من الصليبيين ومن بينهم اثنين من الفرسان ، وقتلوا عدد ستين صليبيا ، وتحصلوا على بعض خيول العدو ، وقتلوا البعض الآخر . [137]

وعقب معركة الكمين بيومين تجددت المفاوضات بين الملك ريتشارد والملك العادل ، وتفقد المسلمون أسراهم بمدينة يافا ، وعلى الجانب الآخر كان ريتشارد يأمل فى عقد الهدنة والصلح مع صلاح الدين وخاصة بعد رحيل ملك فرنسا إلى بلاده ، وكان لا يأمن جانبه وخشى أن يقوم بمهاجمة أملاكه في أوروبا ، إذ طلب ريتشارد من صلاح الدين أن يعيد إلى الصليبيين مملكة بيت المقدس الصليبية بما تشمله من مدن وحصون كما كانت فى عهد الملك بلدوين الرابع Baldwin IV (1164– 1185م) ، وأن تدفع مصر جزية سنوية له [138] ، وأضاف مصدر آخر إلى طلبات ريتشارد صليب الصلبوت [139] . وكان رد صلاح الدين بسفارة على رأسها الملك العادل ، يعرض على ريتشارد تسلمُة مملكة بيت المقدس كاملة فى مقابل ألا يعاد بناء مدينة عسقلان ، ولا يهدم حصن الشوبك [140]

---

(136) Ambroise, op cit . p 302.
الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 292 - 293 . ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 177 - 178.
للمزيد من التفاصيل حول معركة الكمين راجع : مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2، ص 108 – 112.

(137) ابن شداد : مصدر سابق ، ص 177 - 178.
بينما يقرر ابن شداد أن النصرة فى هذه الموقعة كانت للمسلمين إلا أن هناك مصدرا صليبا يعارضه فى ذلك ويصرح بأن المسلمين اشتدوا في مواجهة الصليبيين ، وحققوا الانتصار عليهم في بداية المعركة إلا أن وصول الملك ريتشارد للمعركة كان له أثر كبير فى تبديل الأوضاع ، حيث ارتفعت الروح المعنوية للصليبيين وحاربوا بضراوة ، وحسموا المعركة لصالحهم ، وقتلوا أميرا مسلما يسمى أياز المهرانى وعددا من المحاربين معه ، كما أسروا البعض ، وهرب الباقون .
راجع : مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2، ص 112.

(138) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2، ص 113.

(139) ابن شداد : مصدر سابق ، ص 183 .

(140) حصن الشوبك : وأطلق عليه الصليبيون اسم مونتريال Monterialأي الجبل الملكي ، بناه الملك الصليبي بلدوين الأول عام 1115م / 508 هـ ، ويقع على تل مرتفع مخروطي الشكل ، على الجانب الشرقي من وادي عربة ، يقابل مدينة الشوبك الحالية ، ويوجد داخل صحراء الأردن وشمال خليج العقبة . وهو جنوب قلعة الكرك ، ويبعد عنها مسافة 120كم ، و شمال البتراء عاصمة الأنباط ، ويبعد عنها 35 كم ، وكان يحيط به مدينة الشوبك المليئة بمصادر المياه التى قامت عليها زراعة كثيفة . وكان مركز تحكم فى الطرق الواصلة بين خليج العقبة ومصر ودمشق . تعددت هجمات صلاح الدين له قبل موقعة حطين حتى استطاع السيطرة عليه بعد حطين .
راجع : ابن شداد : مصدر سابق ، ص 48، 51- 52،57- 58. ؛ وليم الصوري : مصدر سابق ، ج2 ، ص 317. ؛ مرفت عثمان : التحصينات الحربية وأدوات القتال فى العصر الأيوبى فى مصر والشام زمن الحروب الصليبية ، القاهرة : دار العالم العربى ، 2010 ، ص 170 . ؛ هانى على : قلعة الشوبك ، المجلة

ويظل بيد المسلمين ، ولكن الملك الإنجليزى اشترط إعادة تعمير عسقلان وهدم الشوبك ، وهو ما لم يوافق عليه صلاح الدين، وانتهت المفاوضات دون التوصل إلى حل يرضى كلا الطرفين . (141)

وقد اتفقت بعض المصادر العربية والصليبية على أن صلاح الدين أخذ يطيل من وقت المفاوضات ويرسل إلى الملك الصليبى سفراءه واحدا تلو الآخر ، منهم الملك العادل سيف الدين أخوه ، مع إرساله الكثير من الهدايا للملك ورجاله المقربين منه ، وكان غرض الجانب الإسلامى من وراء ذلك هو كسب الوقت لصالحه ؛ حتى يتمكن صلاح الدين من تدمير الكثير من المدن والحصون التى تقع فى طريق ريتشارد وتفريغها من الرجالة والمؤن والمواد الخام . (142)

كما نرى المصادر تضيف روايات أخرى عن حدوث مفاوضات بين المركيز كنراد دى مونتفرات Conrad de Montferrat صاحب صور (1187– 1192م) وصلاح الدين دون علم الملك ريتشارد ، حيث أرسل كنراد إلى الملك العادل سفارة على رأسها صاحب صيدا تطلب الصلح والمهادنة فى 8 نوفمبر 1191م / 18 شوال 587هـ (143)، وكان يطمع فى تولى أمر الصليبيين بالأراضى المقدسة وأن يصير ملكا عليهم . وعرض مطالبه فى أن يحصل على مدن الساحل ، بينما يحصل المسلمون على المدن الداخلية وبيت المقدس ، ويكون له فى بيت المقدس كنائس ورجال دين لاتين ، ويجاهر بعداوة الملك ريتشارد والصليبيين معه ويتحالف مع المسلمين فى الحرب ضده . (144)

ويتبين لنا من هذا كله أن صلاح الدين لم يأمر بهدم المدن الحصن على الساحل الشامى كلها فى قت واحد بل تعددت مراحل هذا الهدم ، وأنه أخذ يتقبل إجراء المفاوضات مع الملك الإنجليزى وكونراد دى مونتفرات كلا على حدة ، لأغراض عديدة ومنها توسيع الشقاق بين الملك والمركيز وبين أتباع كل منهما ، ولضرب أحدهما بالآخر ، وفى الوقت

العربية للثقافة ، مجلد 26 ، عدد 50 ، مارس ، 2007، ص 108 – 114 .
للمزيد من الروايات حول استرداد المسلمين لحصن الكرك راجع : أبو شامة : مصدر سابق ، ص 46-48.

(141)Ambroise ,op cit , p 290- 291..;
مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2، ص 114 - 115.

(142) ابن شداد : مصدر سابق ، ص 182 – 183 . ؛ مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 115.

(143) Timothy Venning, op cit, p 211.

(144)Ambroise, The op cit . p 331- 332.;
الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 293 . ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 181 .

نفسه أخذ يماطلهما ويطيل من وقت المفاوضات حتى يشغلهم عن مهاجمة المسلمين لبعض الوقت ، ويتمكن من ترتيب وتنظيم صفوف جيشه ويأتى بالمزيد من العساكر من كافة الأقاليم الإسلامية ، ويقوم بتوفير العتاد والسلاح لجيشه ويتحصل على المزيد من المؤن التى يحتاجها لمواصلة الحرب ، بالإضافة إلى رغبته فى تضيق الخناق على جيش الصليبيين والعمل على زيادة معاناتهم التى يلاقوها فى طريقهم وما أصابهم من أخطار عديدة ومنها أخطار الأمراض ، فقد اعتلت صحة ريتشارد نفسه ، وكذلك أصيب كثير من جنوده بالأمراض جراء تغيير المناخ وغزارة الأمطار التى بلغت إلى حد السيول أحيانا ، واعطبت موادهم الغذائية وقتلت دوابهم وكثير من جيادهم ، ومات العديد من قادتهم ، وتحول كثير من البلدات والسهول إلى مستنقعات فى فصل الشتاء لعام 1191م – 1192م ، هذا بالإضافة إلى تعرضهم لكمائن وهجمات المسلمين أثناء سيرهم فى طريقهم مما أفقدهم أعداد كبيرة من جنودهم ما بين صريع وجريح ، ومهاجمة الوحوش والزواحف السامة لهم ، ومن هذه الأغراض إعاقة تقدمهم نحو بيت المقدس ، والعمل على إطفاء جذوة حماستهم وخفض روحهم المعنوية التى ارتفعت بعد انتصارهم فى معركة أرسوف وموقعة الكمين .

علي كل حال فى يوم الجمعة الموافق 22 نوفمبر 1191م /3 ذى القعدة 587 هـ ، وصل الصليبيون مدينة الرملة ، وتوجه صلاح الدين إلى مدينة النطرون [145] ، وأقام الصليبيون بين اللد والرملة لمدة اثنين وعشرين يوما فى انتظار وصول بقية الجيش والمؤن ، وقد اشتدت هجمات المسلمين عليهم مما دفعهم إلي توزيع مراكز إقامتهم في ثلاثة مواضع هي اللد والرملة ويازور [146] . ونستشف من هذا أن جيش صلاح الدين أقام فى النطرون لأن طبيعتها مرتفعة ، وتساعده على تكثيف مناوشاته على الصليبيين ، واصطياد فرسانهم بالكمائن والهجمات الخاطفة، ونجح فى تشتيت قوى العدو وتقسيمها إلى ثلاثة أقسام كل منهم يقيم فى مكان منفصل عن الآخر.

هكذا قضى الصليبيون فى الرملة مدة ستة أسابيع وبعدها أخذوا يعدوا أنفسهم لمتابعة التقدم وحصار بيت المقدس [147] ، وعلى الجانب الآخر تحرك صلاح الدين من النطرون

---

(145)Ambroise ,op cit , p 290- 292.;
مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 116. ؛ الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 293 .
(146)Ambroise, op cit . p 292- 293.;
مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 116 – 117.
(147) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 116 .

وتوجه إلى بيت المقدس فى يوم الجمعة الموافق 29 ذى القعدة 587 هـ / 18 ديسمبر 1191م ، وأمر رجاله بهدم النطرون وتسويتها بالأرض ، فقاموا بهدم أسوارها وأبراجها ودورها . [148]

أما فيما يتعلق بأمر تدمير النطرون فقد ذكره العديد من المؤرخين المعاصرين ، ونجد صاحب ذيل وليم الصورى يصرح أن صلاح الدين الأيوبى أمر بهدمها بعد هزيمة قواته في موقعة أرسوف ، وذكرها إجمالا ضمن عدد من المدن والحصون الآخرى التى تقع على ساحل فلسطين والتى تقع بالداخل الفلسطينى[149] . كما جاء فى روايات أخرى أنه كان يوجد بها حصن من أشد الحصون فى قوته ومناعته ، وأمر صلاح الدين الأيوبى بهدمه وتسويته بالأرض ، وخرج أهله المسلمين منه وهم حاملين متاعهم على الجمال والدواب ، وذلك فى 13 رمضان 587هـ / 4 أكتوبر 1191م [150] . وذكر مصدر آخر أنه في 29 ذي القعدة 587هـ / 18 ديسمبر 1191م ، أعطى صلاح الدين تعليماته بتنفيذ ما سبق وأمر به فيما يتعلق بهدم النطرون وتسويتها بالأرض ، وقام رجاله الموكل لهم هذه العملية بهدم أسوارها وأبراجها . و يتضح من هذا أنه على الرغم من تعدد روايات المصادر عن هدم مدينة النطرون إلا أنه لا يوجد خلاف أو تناقض فيما بينهم ، ففى المرة الأولى أصدر صلاح الدين أمر الهدم ، وفى المرة الثانية تفقدها ليقرر كيفية تنفيذ الهدم ، ونفذه على حصنها المنيع ، وفى المرة الثالثة أمر بهدم سورها وأبراجها ، وقام بترحيل أهلها . ويتضح منه أن عملية هدم النطرون قامت على مرحلتين ، وهدمت بكاملها وتركت غير صالحة للسكن والإقامة ، حتى إن القوات الإسلامية تركتها وانتقلت إلى القدس . ويستنتج من هذا أيضا أن صلاح الدين كان يسير وفق خطة مدروسة ودقيقة فى تطبيق سياسته الحربية فى هدم المدن والحصون ، يتوقف تنفيذها على مدى تقدم الجيش الصليبى قباله وهم فى طريقهم للجنوب ، وأن كشافته كانت تقوم بدور كبير فى مراقبة تحركاتهم ، وكشف أحوالهم ومعرفة مواضع القوة والضعف عندهم .

ومما يدل على أن النطرون هُدمت بكاملها وسويت بالأرض هذه المرة ، أن الجيش الصليبى وصل إليها بعد مضى أسبوع واحد من هدمها وحاول الإقامة بها [151] ، لكنه

---

(148) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 122. ؛ الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 294 .
(149) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2، ص 96 .
(150) الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 289 . ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 168.
(151) الأصفهانى : مصدر سابق، ص 294 .
وراجع :

وجدها قد تهدمت بالكامل ولم تعد تصلح لسكنى فهجرها إلى بيت نوبة التى وصل إليها فى 3 ينـــاير 1192م / 15 ذى الحجة 587هـ(152) . وفى اليوم الثالث من أقامتهم هناك عقدوا مجلسا للحرب تشاوروا فيه حول تحديد وجهتهم القادمة هل يكون تحركهم باتجاه بيت المقدس رأسا أم مدينة عسقلان ، واختار الأغلبية التحرك إلى عسقلان والقيام بإعادة إعمارها وتحصينها ، حتى يستطيعوا قطع الطريق بين مصر وبلاد الشام وبيت المقدس ، ولا تصل للمسلمين إمدادات عسكرية تقوى من موقفهم فى بيت المقدس . وبالفعل تحرك الصليبيون فى طريق عسقلان لكن سوء الأحوال الجوية واشتداد رجال صلاح الدين في مناوشتهم جعلهم غير قادرين على التقدم فى السير ورجعوا إلى الرملة فى يوم 8 يناير 1192م / 20 ذى الحجة 587هـ (153). وتشتت قوات الجيش الصليبي في الناحية كلها ما بين الرملة ويازور واللد والنطرون وبيت نوبة ومجدل ، وظلوا هكذا حتى آخر ذى الحجة ومنتصف يناير من العام نفسه . (154)

هكذا تحالف رجال صلاح الدين مع سوء الأحوال المناخية ضد الصليبيين فضربهم المناخ بالمطر الغزير والبرد وأصيب بعضهم بالمرض وتوفى عدد ليس بالقليل وفسدت مؤنهم وصدأت دروعهم وزرادياتهم وماتت بعض خيولهم وكثير من دوابهم ، ورجع المرضى إلى يافا يطلبون الاستشفاء من أمراضهم ، واشتدت مناوشات المسلمين لهم ، وخطفوا وأسروا وقتلوا منهم . ومن هنا يتضح قدرة صلاح الدين على التخطيط العسكرى الجيد وخبرة قادته ومهارة قواته العسكرية فى تنفيذ المهام الحربية وأهمها مناوشات العدو ونصب الكمائن ضده وتدمير المدن والحصون فى طريقه حتى لا يجد موضعا لراحته ، وإعادة تنظيم قواته وتجهيزها ، وقطع طريق المؤن والإمدادات إليه ، وأنه اشتد فى مهاجمة الصليبيين فى هذه المرحلة من تقدمهم نحو بيت المقدس وأوقعهم فى مضايقات وصعاب كثيرة وشتت قواهم فى مواضع عدة .

---

(152) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 122 . ؛ الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 294 . Timothy Venning, op cit , 211.

(153) الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 294 - 295. ؛ وراجع : مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 129 - 132. ؛ Timothy Venning, op cit , 211.

(154) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 122 ، 126. ؛ الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 294 - 295. Timothy Venning, op cit , 212.

ومنذ 29 ذى القعدة 587هـ / 17 يناير 1192م لم يكف صلاح الدين عن عمل التحصينات ببيت المقدس وتقوية دفعاتها ، وتوفير المزيد من الذخائر والأسلحة بها ، وشحنها بالعتاد والرجال [155]. وتوافد على القدس خمسون عاملا مهنتهم البناء ، استخدمهم السلطان صلاح الدين فى تقوية سور المدينة وتعميق الخندق حوله ، كما استخدم ألفين من أسرى الصليبيين فى إتمام هذه الأعمال ، وأشرف السلطان بنفسه وأبنائه وأخيه الملك العادل عليها ، وكان الحجر الذى يقطع من الخندق يبنى به السور ، كما جدد بعض الأبراج الحربية بالمدينة ، هكذا عمل صلاح الدين خندقا حول المدينة وشدد أسوارها ، وظل العمل مستمرا مدة ستة شهور كاملة ، وصارت المدينة أكثر قوة وأشد حصانة ، مما يصعب على العدو أخذها .[156]

تحرك الصليبيون من الرملة يوم الاثنين 3 محرم 588 هـ / 20 يناير 1192م ، ووصلوا إلى عسقلان اليوم التالى [157]، ووجدوها مهدمة تماما ، وكانت عبارة عن أكوام من الحجارة [158]. فشرعوا فى إعادة بنائها ، وتكافل الجميع وساعدوا فى العمل ، واشترك فيه السادة والنبلاء والفرسان مع العامة ورجال الدين مع غيرهم من العلمانيين ، وقاموا بقطع الحجارة ونقلها ، ونقلوا مواد البناء والمياه وزادوا في تحصيناتها عما كان قبلا ، وشيدوا سورا ضخما لها وعدد ثلاثة وخمسين برجا أطول وأقوى مما كان لها قبلا ، وكان من بين مسمياتها برج الدم ، وبرج الدروع ، وبرج العذارى ، وبرج الأمراء ، وبرج البدو .[159]

وقضى الصليبيون فى تعمير عسقلان حتى نهاية الشتاء من العام نفسه ، وجدوا فى أعمالهم ، وأنفق الملك ريتشارد أموالا كثيرة فى سبيل ذلك حتى قيل إنه صاحب الفضل والمسئولية فى تعمير ثلاثة أرباع المدينة [160] ، وعلى الجانب الآخر استغل صلاح الدين شهور الشتاء فى إراحة قسم من جنوده الذين أنهكهم مواصلة الحروب منذ موقعة حطين

---

(155)Ambroise ,op cit , p 290- 298.;
الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 294. ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1823.
(156) الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 294 - 295. ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1823.
(157) الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 305 .
(158) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 135 . ؛ الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 305.
(159) Ambroise, op cit . p 309- 310.;
مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 139 - 140. ؛ الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 294 - 295. ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1824.
(160) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 140.

حتى هذا الشتاء لمدة تقارب أربعة أعوام وتزيد [161] . وفى أثناء ذلك رفض كونراد دي مونتفرات دعوات ريتشارد المتكررة للانضمام إلى الحملة العسكرية والالتحاق به فى عسقلان ، وعاد قسم كبير من القوات الفرنسية المحاربة مع ريتشارد بالعودة إلى يافا وعكا وصور ، وحدثت منازعات بين الأهالى والفرنسيين فى مدينة عكا وتدخل الحنيوية لصالح الفرنسيين أما البيازنة فتدخلوا لصالح الإنجليز ، واستعد المركيز لمهاجمة المدينة وأخذها ، ولكن الملك ريتشارد كان أسبق منه إليها وسرعان ما عاد إلى المدينة ووصلها في يوم الخميس الموافق 20 فبراير 1192م / 4 صفر 588هـ ، وقضى على الفتنة بها ، وأصلح الأمور بين الجنيوية والبيازنة ، وعاد السلام بها .[162]

هذا وعلى الرغم من مقدرة ريتشارد فى إعادة السلام إلى عكا ، إلا أنه لم يستطع حمل كنراد والفرنسيين للعودة معه إلى عسقلان بعد أن قضى مدة شهر وعشرة أيام فى عكا [163] ، وأحتفل بعيد الفصح بها مع جنوده في يوم الأحد 5 أبريل 1192م / 20 ربيع أول 588هـ [164] . وفى يوم الثلاثاء 28 أبريل 1192م / 13 من ربيع الآخر 588هـ ، تمكن اثنين من طائفة الحشيشية الإسماعيلية من قتل المركيز كونراد [165] ، وبعدها صار الملك ريتشارد الحاكم الأوحد للصليبيين في بلاد الشام ، وتخلص من منافس له فى هذا الأمر وفى سير المفاوضات مع المسلمين ، وأرسل إلى الملك العادل يجدد المفاوضة معه على قاعدة هى المناصفة فى البلاد ، أى أن يصير للصليبيين نصف المدن والحصون فى

---

(161) الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 302. ؛ مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 136 .

(162) مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 218- 219.؛ مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 143 - 147.

للمزيد من التفاصيل حول الخلافات بين الصليبيين فى هذا الوقت راجع :

Ambroise, op cit . p 313- 316.

(163) Timothy Venning, op cit , 212.

(164) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 147 - 148 ، 151.

(165) الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص163 . ؛ مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 225- 226.؛ الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 307. ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 185.

وراجع : Timothy Venning, op cit , 213.

ذكر فى رواية ابن شداد أن الذى حرض على قتله هو الملك ريتشارد نفسه ليتخلص منه بسبب عداوته له . بينما رواية المؤرخ الصليبي المجهول صاحب ذيل وليم الصورى تقرر أن الحشيشية قتلته انتقاما منه لأنه استولى على مركب لهم فى البحر كانت تحمل مؤن وبضائع . بينما المؤرخ المجهول صاحب مصدر الحرب الصليبية الثالثة جاهد كثيرا فى دفع تهمة القتل عن الملك ريتشارد . بينما يرى ابن الأثير أن صلاح الدين أوعز إلى الحشيشية بقتل المركيز . ويرى الباحث أن رواية صاحب ذيل وليم الصورى أصدق الروايات عن مقتل المركيز كونراد دي مونتفرات ؛ لأنها تتفق مع ميوله العدوانية فى السلب والنهب والقتل .

مملكة بيت المقدس بما فيها يافا وعسقلان ، ويصير للمسلمين نصفها الآخر مع مدينة القدس ، وتواتر الرسل بين الجانبين ، واشترط السلطان صلاح الدين الأيوبى أن يتنازلوا عن مدينتي يافا وعسقلان ، و يكتفوا بما تحت أيديهم من مدن وحصون ، لكن ريتشارد رفض الشرط ، وانتهت المفاوضات في هذه المرحلة دون جدوى . (166)

بعد أن فرغ الصليبيون من إعادة إعمار عسقلان وأقاموا سورها وأبراجه توجهوا إلى قلعة الداروم (167) ، وكانت قلعة حصينة وقوية ويقوم عليها سبعة عشر برجا وبينهم برج واحد مرتفع على ما عداه و يفوقهم قوة وحصانة ، ويحيط بالقلعة سور قوى مبنى من الحجارة ، وخندق مقوى بطبقة من القرميد من أحد جوانبه ، والجانب الآخر مبنيا بالحجارة (168) . وكانت لها أهمية كبيرة لأنها تقع على طريق مصر ، وتعد أحدى أهم القلاع في جنوب فلسطين التى تكفل الحماية لها ولبيت المقدس من هذه الناحية ، وكانت بيد الصليبيين قبل قيام صلاح الدين باستعادتها بعد موقعة حطين (169)، ولم يقم صلاح الدين بهدمها وتخريبها مثل عسقلان وغزة وغيرهما من المدن ، بل اهتم بها وشدد من تحصيناتها وشحنها بالرجال المدافعين (170) . وفى يوم السبت 9 جمادى الأولى / 23 مايو 1192م

---

(166) الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 308 . ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1824.

(167) (ياقوت الحموي : مصدر سابق ، ج4 ، ص 202 -203. ؛ المقدسي البشاري : مصدر سابق ، ص 174.

الداروم : تقع جنوب غزة ، وتبعد عن البحر مقدار خمسة كم ، وتتحكم فى الطريق الساحلى والبحرى و المؤديان إلى مصر ، كانت مدينة كنعانية قديمة ، ذات اسم مركب من مقطعين هما دار وروم ، ويعنى القلعة الجنوبية ، ويرى البعض انها تسمية يونانية تعنى بيت الروم ، أى مدينة اليونانيين ، سيطر عليها المصريون القدماء وأنشأوا بها قلعة منيعة فى عصر الملك= =رعمسيس الثانى ، وسيطر عليها الإسكندر الأكبر ، ثم خضعت للرومان ، ودخلتها المسيحية مبكرا ، وأسس بها القديس هيلاريون الفلسطينى رهبانية ديرية . وفتحها المسلمون عام 13هـ / 634م . استولى عليها الصليبيون ، وقام ملكهم عمورى ببناء قلعة بها أخذت الشكل الدائرى ، وبنى فوقها أربعة أبراج قوية .

راجع : Jaques De Vitry, op cit , p 14.;

ياقوت الحموي : مصدر سابق ، ج2 ، ص 424.

(168) Ambroise, op cit . p 349.;

الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 180.

ابتكر الأيوبيون طريقة خاصة فى تبليط حواف الخندق حول قلاعهم وهى التى استخدموها هنا ، وكانوا يقومون بتبليطه ببلطات حجرية بزاوية مائلة حتى لا يتأكل جسم القلعة ويمنع تسلق المهاجمين لها .

راجع : ياسر كامل محمود : " الخنادق فى بلاد الشام ودورها فى معارك الحروب الصليبية (1097 – 1193 م / 490 – 589هـ) " ، مجلة وقائع تاريخية ، عدد 35 ، يوليو 2021، مركز البحوث والدراسات التاريخية ، كلية الآداب ، جامعة جنوب الوادى ، ص 77 – 153 ، ص 87.

(169) الأصفهانى : مصدر سابق، ص 60- 62؛ابن شداد:مصدر سابق ، ص 62. ؛ ابن الأثير:مصدر سابق ، ص 1797.

(170) الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 308 . ؛ ابن شداد ، مصدر سابق ، ص 188 .

استطاع الصليبيون أخذها عنوة [171] ، وأطلقوا سراح أربعين أسيرا صليبيا كانوا بها ، وأسروا منها ثلاثمائة رجل مسلم عدا النساء والأطفال[172] ، ولم يغنموا إلا قليلا من الأموال أو المؤن أو المتاع لأن حاميتها أحرقت كثيرا مما فيها قبيل استيلاء الصليبيين عليها [173] ، وتنازل ريتشارد عنها للكونت هنرى دى شامبانى فى اليوم التالى [174] ، وتعهد أن يمنحه كل المدن والحصون التى يستولى عليها بوصفه ملك الصليبيين فى مملكة بيت المقدس [175] .

وفى يوم السبت 6 يونيو 1192م / 23 جمادى الأولى 588هـ ، نزل الصليبيون ببلدة تل الصافية ، ثم توجهوا إلى النطرون التى نزلوها بعد ثلاثة أيام من نزولهم بتل الصافية ، وعقب هذا بثلاثة أيام أخرى نزلوا فى بيت نوبة . وأقاموا بها نحو شهر انتظارا لقدوم مدد صليبى من عكا[176] . وكانت بيت نوبة قريبة من بيت المقدس ، وتبعد عنها مسافة قصيرة قدرتها المصادر بمرحلة أو مسافة سفر يوم [177] وتقدر بمسافة من ثلاثين

---

(171) Ambroise, op cit . p 318.;
الأصفهانى : مصدر سابق، ص 308. ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 188.
يرى المؤرخ تيموثي فينينج أن ريتشارد استولى على قلعة الداروم فى يوم 22 مايو ، وليس 23 .
Timothy Venning, op cit , 213.

(172) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 183- 184.
يرى المؤرخ المجهول صاحب تواريخ أسرة بلانتغيرت أن الصليبيين أسروا خمسة آلاف مسلم بحصن الداروم ، وهو عدد كبير جدا لا يوجد في حصن مهما كان اتساعه . ويميل الباحث إلى تصديق رواية المؤرخ المجهول صاحب مصدر الحرب الصليبية الثالثة الذى حدد عدد الأسرى ثلاثمائة رجل عدا النساء والأطفال وكبار السن . وبناء عليه يكون عدد الأسرى جميعهم نحو ألف إلى ألف وخمسمائة أسير ، وليس أكثر من هذا العدد .
راجع : مجهول : تواريخ أسرة بلانتغنت ، ص 250 .

(173) الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 308.
يذكر المؤرخ امبرواز أن الصليبيين حين اقتحموا الداروم استولوا على سبعمائة شاه وثلاثين جملا والكثير من الدواب.
Ambroise, op cit . p 318.

(174) Timothy Venning, op cit , 213.

(175)Ambroise, op cit . p 353- 354.;

مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 183- 184. ؛ مجهول : تواريخ أسرة بلانتغنت ، ص 250 .

(176) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 196- 197. ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 189 - 190.
وراجع : Timothy Venning, op cit , 214.

(177) Ambroise, op cit . p 369.;
مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 218- 219.؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 190.

إلى أربعين كيلو مترا تقريبا [178] . وتقدم ريتشارد ببعض قواته حتى بلغ موضع مرتفع يسمى سانت صموئيل أو مونت جوى [179]ورأى بيت المقدس من بعيد [180] ، وكانت على مسافة فرسخين من مدينة القدس [181]، أى مسافة تقدر بأحد عشر كيلو مترا[182] . وفى 17 يونيو 1192 / 4 جمادى الآخرة 588هـ جاءتهم قافلة من صليبى يافا تحمل طعاما ومؤنا واحتياجات ضرورية مثل الأكسية والأغطية والماء والسلاح [183]. وبعدها بعشر أيام وصل إلى بيت نوبة المدد العسكري من عكا بقيادة كونت هنرى دى شامبانى. [184]

فى هذا الوقت انحسر المدد من طريق البحر عن حملة ريتشارد بسبب قيام سفن الأسطول الإسلامي في بيروت من غلق الساحل الشامى مما جعل الملك الإنجليزى يرى أن ما بيده من قوات غير كافية للاستيلاء على القدس ، وأخذه تفكيره إلى مهاجمة بيروت وأخذها وتأمين المدد والمؤن وزيادة قواته ، ثم العودة مرة أخرى لمهاجمة بيت المقدس [185] ، بينما ذكرت مصادر صليبية أن الصليبيين انتخبوا عشرين رجلا منهم ينتمون إلى كافة أطيافهم ، وهم خمسة من الداوية ومثلهم من الاسبتارية وخمسة من صليبى بلاد الشام ، وخمسة من زعماء الفرنسيين ، وكونوا مجلس حكماء منهم ليقرروا وجهة الزحف ، وكان قرارهم الزحف نحو مصر ، ولكن الفرنسيين عارضوا القرار وطالبوا بالتحرك نحو القدس مباشرة ، ودخلوا فى صراع ضد بعضهم البعض وضد الملك ريتشارد ، وقرروا العودة إلى بلادهم [186]، ولما رأى ريتشارد عودة هؤلاء وجد أنه لم يبق معه سوى القليل من القوات

---

(178) على جمعة محمد: المكاييل والموازين الشرعية، الطبعة الثانية، القاهرة: القدس للاعلان وللنشر، 2001، ص 56.

(179) مونت جوى : وتسمى سانت صموئيل ، وكانت تدعى بلدة شيلو فى التوراة ، وموقعها اليوم قرية سيلون أو شيلون بالقرب من مدينة نابلس ، وهى ذات سطح مرتفع ، وضع فيها الصليبيون رفات صموئيل النبى ، وبنوا ديرا عليها ، يتعبد فيه الرهبان اللاتين ، وتبعد نحو عشرة كيلو مترا من مدينة بيت المقدس ، وتقع فى جنوب شرق مدينة يبنا ، وشمال غرب بيت المقدس .
راجع : سفر صموئيل الأول ، 3 : 4 . ؛ بنيامين التطيلى : مصدر سابق ، ص 259.

(180) مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 219.؛ مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 198 .

(181) بنيامين التطيلى : مصدر سابق ، ص 259 .

(182) على جمعة محمد: مرجع سابق ، ص 54.

(183) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 201 .

(184) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 222 .

(185) الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 311. ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1825.

(186) Ambroise, op cit . p 380 -381.;

مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 211- 212 .
والرواية عند ابن شداد أنه وقع الخلاف بين الصليبيين قبل وصولهم إلى القدس حول الزحف إلى المدينة

قرر مفاوضة صلاح الدين ، وفي 4 يوليو 1192م / 21 جمادى الآخرة 588هـ [187] ، وبينما هو فى طريق عودته وقد اقترب من يافا أرسل إلى صلاح الدين فى طلب الهدنة ، ودارت المفاوضات بينهما غير أن صلاح الدين تمسك بشرط هدم عسقلان ، ورفض الملك الإنجليزى هدمها ، فانتهت هذه المرحلة من المفاوضات دون الوصول إلى اتفاق . وأصاب الغضب ريتشارد حتى أمر رجاله بهدم حصن الداروم وتسويته بالأرض ، وشحن عسقلان بحامية عسكرية كبيرة حتى لا تقع فى يد المسلمين[188] . وتحرك الجيش الصليبي من بيت نوبة في طريق العودة إلى الخلف حيث عكا وصور ، ووصل ريتشارد إلى عكا التى دخلها يوم الأحد 26 يوليو 1192م / 14 رجب 588هـ . [189]

يذكر أحد المصادر أن ريتشارد فى طريق عودته عرج إلى يافا وزاد من تحصيناتها ، وعدد الحامية الصليبية بها ، وأنفق المزيد من الأموال فى سبيل ذلك [190]. وبعد أن بلغ صلاح الدين عملية انسحاب الملك الإنجليزى والجيش الصليبي أرسل إلى عماله والأمراء والحكام المسلمين الذين أمدوه بقوات كثيرة بلغ عددها عشرون ألف فارس بكامل أسلحتهم وجيش كبير من المشاة [191] . وتوجه سريعا إلى يافا على رأس عشرين ألف فارس ، وكان بالمدينة خمسة آلاف صليبى بين رجال ونساء وأطفال ، ونجحت القوات الإسلامية فى دخول المدينة في يوم الجمعة 18 رجب 588 هـ / 30 يوليو 1192م، وقتلوا بعضا من سكانها الصليبيين ، ووقع تحت يديه كل ما بها من أموال وبضائع ومؤن وأسلحة وثياب وأقمشة ونفائس . وما بقى من سكانها وحاميتها التجأ إلى قلعة المدينة وكانت حصينة ، وحاصرهم المسلمون حتى جنحوا إلى التسليم ، وطلبوا الأمان على أنفسهم ، ووقع أمر التفاوض على عاتق بطريركها الذى عقد اتفاقا مع المسلمين على تسليم المسلمين القلعة وكل ما بها من الأموال والزخائر والأسلحة ، فى مقابل تأمين بنى جنسه على أرواحهم ،

وكان الملك ريتشارد يرى عدم مواصلة الزحف لأنه لا يأمن الوقوع فى شراك المسلمين ، بينما كان الفرنسيون عازمين على مواصلة المسير إلى القدس ، فحكموا ثلاثمائة من أعيانهم وحكم الثلاثمائة اثنى عشر وحكم الاثنا عشر ثلاثة منهم ، وحكموا بالرحيل ، وامتثل كل الجيش لحكمهم وأخذوا يسيرون فى طريق العودة .
ابن شداد : مصدر سابق ، ص 196.

(187) Timothy Venning, op cit , 214

(188)مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 229 .
(189) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 229.
(190) مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 218 - 219.
(191) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2، ص 227- 228 . ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 189.

وافتداء كل رجل بها بأسير من المسلمين الكبير بالكبير والصغير بالصغير ، وطلب البطريرك أن يقف على تأمينهم قوة إسلامية حتى خروهم من البلد ، وتبادلوا الأسرى فيما بينهم توثيقا وتأمينا للاتفاق وكان من بين الأسرى الصليبيين البطريرك نفسه وبعض رجاله ، واتفقوا على تنفيذ ذلك فى اليوم التالى ، وعلى الجانب الآخر كان البطريرك قد أرسل رسلا إلى ريتشارد منذ بداية حصار المسلمين للمدينة يستدعية لنجدة الصليبيين بالقلعة ، ووصل الرسل إلى ريتشارد فى اليوم التالى للحصار ، فأسرع إلى التحرك لنجدة القلعة ، ووصلها فى اليوم التالى من تاريخ عقد الاتفاق بين بطريركها وصلاح الدين على تسليمها ، وأرسى ليلا فى ميناء يافا ودخل القلعة من جهة البحر ، ونقض الصليبيون شروط أتفاقية التسليم ، واستطاعوا تأمين أنفسهم ، مما دفع المسلمين إلى الرحيل عن المدينة ، وانسحبوا حتى وصلوا النطرون ومنها توجهوا إلى الرملة ، وبأيديهم ما غنموه من مال وبضائع وأسرى بلغ عددهم نيفا وسبعون من مقدمى الصليبيين .[192]

يذكر أحد المصادر الإسلامية أن المسلمين ركزوا هجومهم على الجزء الشرقي من سور المدينة في موضع يلى بابها فى هذه الناحية حتى نهاية الحد الشرقى للسور ، لأنهم كانوا يعرفون أنه موضع ضعيف ، و نقبوه واستطاعوا هدمه ودخلوا المدينة منه [193] ، وهو ما دفع الملك الإنجليزى لإعادة بناء ما تهدم به بعد سيطرته على المدينة مباشرة ، وحتى لا يتسلل المسلمون إليها ليلا و يهددون سكانها ، حيث انتشرت الكمائن الإسلامية

---

(192) Ambroise, op cit . p 399- 412.;
مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 230 - 243 . ؛ مجهول : ذيل وليم الصوري : ص 228 – 230. ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 201 وما بعدها . ؛ الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 312- 313 . ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 1826.
يتضح من وصف ابن شداد لمعركة يافا والتفاصيل التى أوردها عنها أنه كان شاهد عيان للمعركة وشارك فيها ، حتى أنه يأتى بذكر معلومات مفصلة لم تأت فى المصادر الآخرى ، ومعرفته بمواقع الضعف فى سور المدينة ومنه ما ذكره هنا أن المسلمين هاجموا المدينة فى نقطة ضعيفة من سورها وتقع فى جانبها الشرقى بالقرب من بوابته الشرقية ، وضربوها بالمنجانيق من هذا الجانب ، واستخدموا آلات النقب في هدمها ، ونجحوا في دخول المدينة منه.
(193) ابن شداد : مصدر سابق ، ص 201.
يتضح من وصف ابن شداد لمعركة يافا والتفاصيل التى أوردها عنها أنه كان شاهد عيان للمعركة وشارك فيها ، حتى أنه يأتى بذكر معلومات مفصلة لم تأت فى المصادر الآخرى ، ومعرفته بمواقع الضعف فى سور المدينة ومنه ما ذكره هنا أن المسلمين هاجموا المدينة فى نقطة ضعيفة من سورها وتقع فى جانبها الشرقى بالقرب من بوابته الشرقية ، وضربوها بالمنجانيق من هذا الجانب ، واستخدموا آلات النقب في هدمها ، ونجحوا في دخول المدينة منه.
راجع : ابن شداد : مصدر سابق ، ص 201 - 206.

بالقرب منها ، وبدأ الصليبيون بالترميم فى يوم الأحد 2 أغسطس 1192م / 21 رجب 588 هـ ، واستمروا حتى الثلاثاء من الأسبوع نفسه . [194]

وجرى بعد ترميم سور يافا أن عاد الكثير من الجنود الصليبيين وبخاصة الفرنسيون منهم إلى عكا وتركوا الملك فى قلة من الرجال يقدرهم أحد المصادر بخمسة وخمسين فارسا وألفين من المشاة الأقوياء ورماة السهام والمرتزقة والبيازنة [195] ، كما وقع فريسة للمرض بعد أن بذل جهودا كبيرا في محاربة المسلمين [196]. وعلى الجانب الآخر أخذت الرسل تتوافد من إنجلترا إلى الملك ريتشارد منذ عيد الفصح حتى هذا الوقت يبلغوه بقيام أخيه جون John بالتمرد والاستيلاء على أموال إنجلترا والحصون والقلاع [197]. وهذا ما جعل ريتشارد يسارع إلى إنهاء الحرب وعقد الهدنة مع صلاح الدين . وعلى الجانب الإسلامى حدث اتفاق بين البيت الأيوبى فى تقسيم وتحديد الأملاك بين أفراده واتفق السلطان مع أخيه الملك العادل أن يتنازل له العادل عن أملاكه فى مصر ونصف أمواله على أن يأخذ بلاد فلسطين التى فى حوزة المسلمين ، وما يقع فى أيديهم مما لا يزال في حوزة الصليبيين [198] . ويتضح منه أن هذا الاتفاق كان أحد العناصر التي دفعت صلاح الدين لعقد الهدنة مع الصليبيين .

عندما رأى الملك الإنجليزى انفضاض الجنود من حوله ، والكثرة فى القوات العسكرية للمسلمين التى أخذت تترى من البلاد الإسلامية بالشام والعراق ومصر مما ينذر بسوء العاقبة على الصليبيين ، أخذ يراسل المسلمين فى طلب الصلح ، وكان يتعجل عليه أكثر مما مضى ، و يصله بإطلاق انذارا قويا وجهه إلى المسلمين يقضي باختيار طريقا من طريقين إما الهدنة أو الحرب المتواصلة إلى نهاية المطاف وحتى تكون النتيجة إما منتصر أومنهزما بينهما [199] . ولما وصلت رسائله إلى السلطان صلاح الدين قام بجمع قادته وشاورهم في الأمر ، فاتفق جميعهم على اقرار الصلح والهدنة ، لأنهم رغبوا فى

---

(194) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2، ص 245 .
(195) نفسه ، ص 245 - 246.
(196) Ambroise ,op cit , p 426 -428 .;
مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 261. ؛ ابن شداد : مصدر سابق ، ص 211 – 212.
(197) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص ، 158 – 156، 186 . ؛ مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 238 .
(198) الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 311.
(199) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص ، 264؛ مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 238 . ؛ الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 314.

نهاية الحروب وإيقاف خسائرها على البلاد والعباد، وإعادة إعمار المدن والأقاليم التي لحقها التدمير والتخريب ، والإهتمام بشؤونها الاقتصادية ، وتوفير الغلات والمنتجات والبضائع التى أضيرت كثيرا جراء الحروب المتصلة ، ونهبت وأحرقت [200]، وركن صلاح الدين لما اقترحه عليه أمراؤه وقادته ، ووافق على الدخول فى المفاوضات مع الصليبيين وتقرير الصلح ، وفي يوم الثلاثاء 1 سبتمبر 1192م/ 21 شعبان 588 هـ ، وضعوا اتفاقية الصلح التى أطلق عليه صلح الرملة ، ونصت أن يكون بأيدي الصليبيين مدن الساحل من يافا حتى قيسارية ومنها إلى عكا ومدينة صور ، وتنازلوا عن القدس وعسقلان وغزة والداروم وبينا وتل الصافية للمسلمين ، وتدخل فى نطاق الاتفاقية ممتلكات الصليبيين في أنطاكية وطرابلس وأعمالهما ، وتكون مدة الهدنة ثلاث سنوات وثمانية أشهر[201] . وأضاف مصدر صليبى بنود أخرى إلى الاتفاقية وهى أن يكون لكلا الطرفين الإسلامى والمسيحى حرية التنقل أينما شاؤوا دون حمل السلاح ، وحرية انتقال البضائع والسلع ، وممارسة الأعمال التجارية [202] . وبعدها عاد ريتشارد إلى عكا ليسترد صحته ويتلقى علاجا لمرضه ، وعندما تعافى قرر الرحيل إلى إنجلترا والعودة إلى بلاده ، وفي يوم 8 أكتوبر 1192م استقل سفينته التي أبحرت من ميناء عكا ، وبينما هو فى عرض البحر وقع أسيرا لدى ليوبولد الخامس دوق النمسا فى 20 ديسمبر 1192م [203]. أما صلاح الدين فعاد إلى دمشق التى وصلها في 4 نوفمبر 1192م / 26 شوال 588هـ [204]، وقام بإعادة إعمار المدن التى تهدمت ، وعنى بشئون الزراعة والتجارة ، وتوفير الأقوات للناس [205] . ويتضح منه أن أتباع صلاح الدين لسياسة هدم المدن والحصون فى الحملة الصليبية الثالثة لم يكن غرضه التدمير والهدم فى حد ذاته بل إنها سياسة حربية اتبعها

) الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 315. 200(

(201) Ambroise ,op cit , p 430- 431.;

مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص ، 264– 265. ؛ مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 238 . ؛ الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 317- 318. ؛ ابن شداد : مرجع سابق ، ص 207 - 208.

(202) مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج 2 ، ص 264 - 265.

(203) مجهول : ذيل وليم الصورى ، ص 280- 281 .

للمزيد من التفاصيل حول عملية أسر ريتشارد حتى إطلاق سراحه راجع :

مجهول : تواريخ أسرة بلانتغنت ، ص 251 – 256 .

وراجع : Timothy Venning, op cit , 215- 216.

(204) Timothy Venning, op cit , 216.

(205) راجع: الأصفهانى : مصدر سابق ، ص 319- 322.

صلاح الدين لعرقلة تقدم الصليبيين نحو بيت المقدس ، وأثمرت نتائجها وأسهمت في حفظ البلاد والعباد.

الخاتمة:

ومن كل ما سبق نستنتج أن نجاح صلاح الدين فى هزيمة الصليبيين في معركة حطين واسترداد مدينة بيت المقدس من يد الصليبيين وكثير من المدن والبلدان الآخرى ببلاد الشام وفلسطين كانت نتائجها قيام أوروبا بالحملة الصليبية الثالثة التي شملت أقوى ثلاثة جيوش فى الغرب فى هذا الوقت وهى الجيوش الألمانية والإنجليزية والفرنسية ، وهو ما جعل صلاح الدين يتبع سياسة جديدة فى الحرب ضد الصليبيين ، وهى سياسة هدم المدن والحصون في وجه الصليبيين مع ما في هذه السياسة من خسائر مادية ومعنوية والآم نفسية.

بيد أن هذه السياسة لم تكن جديدة على صلاح الدين الأيوبي بل استخدمها بعض الأمراء والسلاطين المسلمين قبله مثل نور الدين محمود زنكى ، كما اتبعها صلاح الدين حتى قبل مجيء الحملة الثالثة إلى الشرق .

وناقش البحث العديد من القضايا المتعلقة بسياسة صلاح الدين الحربية فى هدم وتخريب المدن والحصون فى الحملة الصليبية الثالثة . وقد أظهرت الدراسة أن سياسة صلاح الدين هذه مرت بثلاثة مراحل ، وتوجهت مرحلتها الأولى إلى المدن والحصون فى شمال بلاد الشام ، ونتيجة لاستيلاء الصليبيين على حصن بغراس أمر صلاح الدين بإعمال الهدم والتخريب على باقى المدن والحصون الواقعة فى الشمال مثل جبلة وجبيل وبيروت ، وكان ذلك أثناء حصار الصليبيين لمدينة عكا .

ثم بدأت المرحلة الثانية من هذه السياسة بعد استيلاء الصليبيين على عكا وارتكابهم جرم مذبحة تل العياضية التي قتلوا فيها ألفان وسبعمائة أسير مسلم وتوجه جيوشهم إلى الجنوب نحو بيت المقدس ، وشملت هذه المرحلة هدم مدن الساحل البحرى الأوسط وهى حيفا و كفر ناعوم وقلعة دوسترى وبلدتها و مدينة قيسارية و أرسوف ويافا وتبين أن الصليبيين قاموا بإعادة إعمار يافا لكى تكون قاعدة لهم ينطلقون منها للهجوم على الساحل الجنوبى ومدن جنوب مملكة بيت المقدس .

وهو ما أدى إلى قيام صلاح الدين بتنفيذ المرحلة الثالثة من سياسته فى هدم المدن والحصون ، وقام بهدم مدينة عسقلان ؛ لأنه علم عزم الصليبيين واتفاقهم على التوجه إليها بغرض أخذها لتهديد مدينة بيت المقدس ومصر ، ثم أتبعها بهدم مدينتي اللد والرملة ، ومن بعدهم هدم النطرون وحصنها المنيع ، كما هدم وخرب قلعتى يازور والسهول اللتين كانتا تتوسطان المسافة بين يافا والرملة ، ويتكفلان بحماية الطريق المؤدى إلى مدينة بيت

المقدس . وكانت هذه هى المرحلة الأخيرة فى سياسة هدم المدن والحصون في وجه الصليبيين في الحملة الصليبية الثالثة .

وقام الباحث بمناقشة قضايا عديدة فى صميم موضوع هذه الدراسة ، فلم يترك حصنا أو مدينة مما وقع عليها هجوم ريتشارد إلا وتناول تحديد موضعه الجغرافى وأهميته العسكرية لطرفى الصراع الصليبى والإسلامى ، ومراحل انتقالها تبعيته بين طرفى الصراع ، وسبل تحصينه والدفاع عنه ، وما وقع عليه من هجوم وحصار وشدة أثناء ذلك الصراع .

كما خرج البحث بنتائج أخرى ، وهى نجاح سياسة صلاح الدين هدم المدن والحصون فى عرقلة سير الحملة الصليبية الثالثة نحو بيت المقدس ، وأثقلت كاهل الصليبيين وكلفتهم كثيرا من الجهد والأموال والأنفس ، وضيقت عليهم بشدة ، وانتهت بجعل ريتشارد قلب الأسد يخضع للمفاوضات ويضطر لتقديم تنازلات لصلاح الدين حتى يتحصل على موافقة منه لإنهاء الحرب بينهما بالشروط التى يقرها خصمه صلاح الدين ، وبالفعل توصلا إلى عقد اتفاق الرملة الذى حرم الصليبيين من تحقيق أهداف حملتهم وأهمها حصولهم على مدينة القدس ، فقد ظلت بيد صلاح الدين ولم يتنازل عنها ، وعلى الرغم من حصولهم على مدن الساحل الأوسط للبحر من يافا حتى صور شمالا ، إلا أنهم فقدوا الجزء الجنوبى من مملكة بيت المقدس الذي يمتد من جنوب يافا حتى غزة .

وثبت من الدراسة أن استراتيجية صلاح الدين فى هدم المدن والحصون أكدت على عبقرية هذا القائد المسلم فى مواجهة جحافل الحملة الصليبية الثالثة إذ أرتبطت سياسته ببروز نوع أخر من فنون الحرب والقتال للدفاع عن الأرض والمقدسات الإسلامية متمثلا فى تكتيك حرب الكمائن التى كبدت الصليبيين خسائر فادحة فى المال والعتاد والأفراد معا والتى ما كانت لتنجح وتؤتى ثمارها إلا بعد أن قام بهدم تلك المدن والقلاع واستدراج الصليبيين بعيدا عنها إلى الساحات والأراضى المكشوفة التى لا تتناسب أبدا مع طبيعة التكتيك العسكرى الصليبى المتبع فى بلاد الشام زمن الحروب الصليبية .

كذلك خلصت الدراسة إلى أن إقدام صلاح الدين على استخدام سياسة هدم المدن والحصون جاء استجابة إلى الظروف الصعبة التى فرضتها الفوارق المادية والبشرية الكبيرة بين الجيشين الصليبى والإسلامى ، وقد عجت المصادر المختلفة لا سيما الصليبية منها فى تقدير أعداد الجيوش الصليبية التى بلغت إلى مئات الألوف بقيادة أقوى أباطرة وملوك أوربا فردريك بربروسا إمبراطور ألمانيا وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا وفليب أغسطس

ملك فرنسا ، هذا فى الوقت الذى كانت الجيوش الإسلامية بقيادة صلاح الدين الأيوبى قد أنهكت واستنزفت قواها على مدار سنوات عديدة من القتال المتواصل ؛ لذلك لم يشأ صلاح الدين أن يغامر بمصير بيت المقدس الذى سبق وأن استعاده بعد جهد شاق وتضحيات كثير من دماء المسلمين ، وكانت سياسته فى هدم المدن والحصون سبيلا إلى حفظ المقدسات الإسلامية والعربية .

وفشلت الحملة الصليبية الثالثة في تحقيق أهدافها ، ورحل ريتشارد أخر ملوكها إلى بلاده فى يوم 9 أكتوبر 1192م . ووقع في أسر دوق النمسا . وقام صلاح الدين بإعادة تعمير المدن والبلدات والحصون ، وقام بتنشيط النواحى الاقتصادية فى بلاده ، وزرعت الحقول وتوفرت الأقوات للناس ونشطت التجارة وحركة سير البضائع في البحر والبر . واستراح الجنود من بعد طول قتال، وتوفرت سبل السلامة والهدوء للرعايا .

المصادر الأجنبية :

-Ambroise, The Crusade of Richard Lion-Heart, trans. From the Old French by Hubert, M.J., New York, 1941.
-Anonymous, The First and Second Crusades from an Anonymous Syriac Chronicle , trans. By Tritton , A. S. , not. by Gibb , H. A. R., Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, No.1, pp 69- 101, Cambridge, June, 1933.
-Daniel The Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in The Holy Land , trans. By Wilson, C.W., in , P.P.T.S., vol., Iv, London, 1888.
-Ernoul, Chronique, trans, by Rohricht, Genve, 1882.
-Jaques De Vitry, The History of Jerusalem, trans., by Aubrey Stewart, in P.P.T.S., vol.XI, London, 1896.
-Johannes Phocas, The Pilgrimage to the Holy Land, 1185 A.D., London , 1896.
-Oliver of Padenborn, the Capture of Damietta, trans. By John Gavian, Philadelphia, 1948.
-Roger of Wendover, Flowers of History , trans.by Giles, J.A., 2 vols. , vol.I , London, 1848.
- Theodrichs, Descripition of the Holy Places, trans. by Aubrey Stewart, in, P.P. T.S., London, 1897.

المصادر المعربة :

-بنيامين التطيلي ، بنيامين بن يونة التطيلي النباري الأندلسى (ت 569هـ/ 1173م) : رحلة بنيامين التطيلي ، ترجمة عزرا حداد ، دراسة وتقديم عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، الأمارات : المجمع الثقافى ، 2002.

-بورشارد : وصف الأراضي المقدسة ، ترجمة وتعليق سعيد عبد الله البيشاوي ، دار الشروق ، 1995.

- جاك دي فيترى : خطاب إلى البابا الروماني هونوريوس ، مؤرخ فى الفترة بين 14 إلى 22 سبتمبر 1218 م ، بكتاب رسائل جاك دي فيتري نقلا عن لغتها اللاتينية دراسة وثائقية فى العلاقات بين الشرق والغرب 1200 – 1240م ، ترجمة وتعليق ودراسة عبد اللطيف عبد الغنى السيد ، ليبيا : المكتب الجامعي الحديث ، 2005 ،.

- روجر أوف وندوفر : ورود التاريخ ، ترجمة سهيل زكار ، الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية ، ج 39 ، دمشق ، 2000.

-مجهول : تواريخ أسرة بلانتغنت ، ترجمة وتحقيق سهيل ذكار ، الموسوعة الشامية للحروب الصليبية، ج 30 ، دمشق ، 1998 .

- مجهول : الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ترجمة وتعليق حسن

حبشى ، 2 جزء، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2000.

– مجهول : ذيل وليم الصورى ، ترجمة وتعليق حسن حبشي ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002.

– وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ترجمة وتعليق حسن حبشى ، 4 أجزاء ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1995.

المصادر العربية :

– ابن الأثير (ت 630هـ / 1233م) أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني : الكامل في التاريخ ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي ، 12 جزء في مجلد واحد ، الرياض: بيت الأفكار الدولية ، د.ن.

– الأنصاري الدمشقي (ت 727هـ / 1326م) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي المعروف بشيخ الربوة : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، بغداد ، د.ن.

– ابن بطوطه (ت 779 هـ/ 1377 م) : رحلة بن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، حققه محمد عبد المنعم العريان ، 2 جزء ، ج1، بيروت : دار إحياء العلوم ، 1987 .

– ابن حوقل (عاش في القرن الرابع الهجري / القرن العاشر الميلادى) أبو القاسم بن حوقل النصيبي : صورة الأرض ، 2 قسم فى مجلد واحد ، بيروت : دار صادر ، 1938.

– ابن شداد (ت 632هـ/ 1285م) بهاء الدين أبو المحاسن يوسف رافع بن تميم : سيرة صلاح الدين الأيوبى المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، القاهرة : دار الفرجانى ، 1988 .

– الأصطخرى (ت 346 هـ / 957م) أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصطخرى المعروف الكرخى: مسالك الممالك ، ليدن ، 1937 .

– ابن خرداذبة (ت 280 هـ/ 893 م) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف ابن خرداذبة: المسالك والممالك ، بيروت : دار صادر ، 1889.

– ابن عبد الظاهر، محي الدين بن عبد الظاهر(620 – 692 هـ/ 1223– 1292م) : الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ،: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، 1976 .

–ابن العديم (660 هـ / 1262 م) كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم الحلبي الحنفي : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، وضع حواشيه خليل المنصور ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1996.

– ابن القلانسي : (550 هـ /1160م) أبو يعلى حمزة بن أسد بن على بن محمد : تاريخ أبي يعلى حمزة ابن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق تتلوه نخب من تواريخ ابن الأزرق الفارقى وسبط ابن الجوزي والحافظ الذهبي ، القاهرة : مكتبة المتنبى ، 1997 .

– أبو شامة (ت 665 هـ/ 1267 م) شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى الدمشقى المعروف بأبى شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، حققه وعلق عليه أبراهيم الزيبق ، 5 أجزاء ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1997 .

– المقدسي البشاري (380 هـ/ 990 م) ابو عبد الله محمد بن أحمد المقدسى: أحسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم ، 2 جزء فى مجلد واحد ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 2003.

– أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (732هـ / 1331م) تقويم البلدان ، طبع فى باريس ، 1840 .

– ناصر خسرو (453 هـ، / 1061 م) أبو معين الدين العلوي : سفر نامه ، ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1993.

– ياقوت الحموي (ت 626 هـ / 1228) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الملقب شهاب الدين : معجم البلدان ، 5 أجزاء ، بيروت : دار صادر ، 1977.

المراجع الأجنبية :

– Andrew Jotischky, Crusading and the Crusader States, 2 ed., London, 2017.

-Benvenisti, M. The Crusaders in the Holy Land , Jerusalem, 1970.

-Bernard Hamilton, Baldwin the Leper as War Leader, in : From Clermont To Jerusalem The Crusades and Crusader Societies 1095-1500, International Medieval Congress Universitts 10 -13 July , 1995.

-David Nicolle, The Third Crusade 1191, Richard The Lionheart , Saladin and the Struggle for Jerusalem, Oxford , 2006.

- La Monte, J.L., Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, 1100-1299 York, 1970 .

-Madden , T., F., The Concise History of the Crusades, U.K., 2014.

-Prawer, J.Crusader Institutions, Oxford, 1980.

- Prawer, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, European Colonialism in the Middle Ages, Israel, 1972.

Rene Grousset, Histoire de Croisades, 3 vols., Paris vol. I , 1936.-

-Robert Jones, The Crusades, A Brief History, Georgia, 2004.

-Setton, K. M., A History of the Crusades, 5 vols., vol.2, 2 ed., London , 1969.
-Stevenson, W. B., The Crusaders in the East, Cambridge, 1907.
-Timothy Venning, Chronology of the Crusades, London , 2015.

الرسائل العلمية :

- جلال حسنى عبد الحميد سلامة : عكا فى أثناء الحملة الصليبية – الفرنجية الثالثة ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، 1993.
- سعد محمد المومني : القلاع الإسلامية في الأردن الفترة الأيوبية المملوكية ، رسالة ماجستير ، كلية الأداب ، الجامعة الأردنية ، 1985.
- عبدالله سعيد محمد الغامدي : استرداد بيت المقدس فى عصر صلاح الدين ، رسالة ماجستير كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، 1401 هـ .
- فؤاد عبد الرحيم حسن الدويكات : إقطاعية طبرية ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي (492- 690هـ / 1099 – 1291م) ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك – كلية الآداب ، قسم التاريخ ، 1996.
- نيفين ظافر حسيب الكردى : الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية فى الغرب الأوربى من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر ، ماجستير – كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية بغزة ، 2011.

البحوث :

- شامخ زكريا علاونه وسعيد عبد الله البيشاوي : إقطاعية اللد والرملة فى عصر الحروب الصليبية (الفرنجية) 1099– 1187م / 492 – 583هـ (دراسة تاريخية)، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والإجتماعية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية ، مجلد 48، عدد 4، ملحق 2، 2021.
- فضيلة حسن خلف المفرجي: أسرة مونتفرات وأثرها فى الحروب الصليبية ، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة كركوك ، مجلد 7 ، عدد 21 ، 2015.
- محمد كاظم كمر الربيعى ، عسقلان ودورها في الحروب الصليبية (492 – 548هـ / 1099 – 1153 م) ، كلية الإمام الكاظم قسم التاريخ ، مجلة الإمام الكاظم للعلوم الإنسانية ، العدد 2 ، 2018، ص 157 – 182 .
- هانى على : قلعة الشوبك ، المجلة العربية للثقافة ، مجلد 26 ، عدد 50 ، مارس ، 2007.

- ياسر كامل محمود : " الخنادق فى بلاد الشام ودورها فى معارك الحروب الصليبية (1097 – 1193م / 490 – 589هـ) " ، مجلة وقائع تاريخية ، عدد 35 ، يوليو 2021، مركز البحوث والدراسات التاريخية ، كلية الآداب ، جامعة جنوب الوادى ، ص 77 – 153.

المراجع العربية والمعربة :

- أبراهيم سعيد فهيم محمود : يافا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي (1099-1291م/ 492- 690هـ) ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 2019 .
- أحمد الشامى : صلاح الدين والصليبيون تاريخ الدولة الأيوبية ، القاهرة : دار النهضة العربية ، 1991.
- أشرف صالح محمد سيد : الدبلوماسية الأيوبية – الصليبية 1191- 1192 م دراسة تاريخية تحليلية ، لبنان : شركة الكتاب العربي الإلكتروني ، 2007.
- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة صيدا فى العصر الإسلامى ، الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة 1986، .
- ج.ج. كولتون : عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة ، ترجمة وتعليق جوزيف نسيم يوسف ، الإسكندرية : دار المعارف ، 1967.
- حسن عبد الوهاب حسين : تاريخ قيسارية الشام فى العصر الإسلامى ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1990.
- حسين محمد عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (1171- 1268م / 567-666هـ) ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1989.
- حسين مؤنس : نور الدين محمود سيرة مؤمن صادق ، جدة : الدار السعودية للنشر والتوزيع ، 1987.
- حمدي عبد المنعم محمد حسين : تاريخ الأيوبيين والمماليك ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 2000 .
- زين بن عبد العزيز الفياض :قاهر الصليبيين صلاح الدين الأيوبي ، الرياض ، دار الألوكة ، 1437هـ .
- ستيفن رنسيمان : ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، 3 مجلدات في أربعة أجزاء ، مج 2 ، 3 ، بيروت : دار الثقافة 1997.
- سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي

فى العصور الوسطى ، 2 جزء ، الطبعة التاسعة ، القاهرة : مكتبة الانجلو مصرية ، 2010 ، ج2 .

- ---------- : قبرص والحروب الصليبية ، الطبعة الثانية ، سلسلة تاريخ المصريين رقم 210، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2002 .
- عز الدين غريبه:قصة مدينة يافا مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس:د. ت.
- على محمد الصلابى : نور الدين محمود زنكي شخصيته وعصره، القاهرة: دار الأندلس الجديدة، 2008.
- فولفغانج مولر فيز : القلاع أيام الحروب الصليبية ، ترجمة محمد وليد الجلاد ، الطبعة الثانية ، دمشق : دار الفكر ، 1984.
- كميل عزيز صليب : لاذقية الشام ودورها فى العصر الإسلامى (1095 – 1291م / 488 – 690هـ) ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 2008.
- محمد الجهينى : إطلالة على العمارة الحربية في شرق العالم الإسلامي عبر العصور، القاهرة : الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى، 2007.
- محمد محمد مرسى الشيخ : عصر الحروب الصليبية فى الشرق ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1996.
- ---------- : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها 1097م-1144م، الإسكندرية: دار الثغر ، 1974.
- محمد مؤنس أحمد عوض : فى الصراع الإسلامى الصليبى (معركة أرسوف 1191م / 587 هـ)، القاهرة : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، 1997 .
- محمود سعيد عمران : تاريخ الحروب الصليبية 1095 – 1291م ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 2000.
- ---------- : حضارة أوربا فى العصور الوسطى ، الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1998.
- مرفت عثمان : التحصينات الحربية وأدوات القتال فى العصر الأيوبى فى مصر والشام زمن الحروب الصليبية ، القاهرة : دار العالم العربى ، 2010 .
- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين (فى الديار اليافية) ، الجزء الثانى القسم الرابع ، الطبعة الأولى ، مطبوعات رابطة الجامعيين بمحافظة الخليل ، 1972م .